التحذير من الابتداع في الدين والرد على شبهات المخالفين

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ❁ العدد ٥٥٩ السنة السابعة والأربعون - رجب ١٤٣٩ هـ ❁ الثمن ٢ جنيهات



دوام ذكر الموت يرقق القلب



الشائعات ومعاول هدم المجتمعات

- الكذب وسوء منقلب أهله
- أسباب الطلاق والتفكك الأسري
- نعمة الكلام وترويض اللسان

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

الرويبضة (أبو جهل)!!

من الأمور العامة التي ترتبط بدين الأمة أن الإمام البخاري رحمه الله حفظ القرآن في العاشرة من عمره، ومع بلوغه حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وغيرهما من المحدثين، ووصل عدد شيوخه إلى ألف شيخ.

ورحل رحلتين في إحدى عشرة سنة؛ يجمع الأحاديث، ويكتب ترجمة ذاتية لكل راو، بلغت تراجم رواته أربعين ألف رجل وامرأة في التاريخ الكبير، وجمع ثلاثمائة ألف نص صحيح، ومثلها ضعيف، ثم بدأ ينتقي بشروط قاسية، وجعل لجنة للمراجعة على رأسها ابن المديني لقوته، وكان يتوضأ ويصلي ركعتين عند كتابة كل حديث، ثم قرأ ذلك كله على آلاف من علماء عصره، وتلقت الأمة الإسلامية كتابه (الجامع الصحيح) بالقبول.

حتى جاء زمن الرويبضة فنطقوا، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»، وكما هو معهود؛ يقع الغراب على الدود، فيتبع الرويبضة ما تشابه من القرآن والسنة، ليطعنوا في تراث الأمة ودينها، لكن؛ إذا كان الله تعالى تعهد بحفظ دينه وإظهاره على الأديان كلها، فلا يقال للرويبضة «أبو جهل» إلا ما قاله الأعشى الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليفلقها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية ACP

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط



سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية

قليوب - مصر



الكذب.. وسوء منقلب أهله

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالدين القويم، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الكذب خُلق ذميم، وصاحبه متوعَّد بعذاب الجحيم، وهو من قبائح الذنوب وكبائرها، وقد حرَّمه الله في كتابه، ونبينا صلى الله عليه وسلم في سُنّته.

وقبل البدء في بيان شيء من ذلك، أُعرِّفه فأقول: الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع، قال التهانوي: «الكذب: خلاف الصدق، قيل: هو قبيح لعينه، وقيل: لما يتعلق به من المضارّ الخاصة». (كشاف اصطلاحات الفنون ١٢٤٣/٣).

والكذب يكون بتزييف الحقائق، أو خلق وإحداث روايات وحكايات لا أصل لها.

وأفحش أنواع الكذب: الكذب على الله، والتكذيب بآياته، قال الله تعالى متوعدًا ومعنفًا الكافرين لتكذيبهم بآيات الله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ» (آل عمران:١٠، ١١)، وقد أفادت الآيتان أن الكافرين لن تنفعهم أولادهم ولا أموالهم، وأن الله ناصر عباده المؤمنين عليهم، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وعدم تصديقهم بالمرسلين.

قال ابن كثير رحمه الله: «والمعنى في الآية: أن الكافرين لا تغني عنهم الأولاد ولا الأموال، بل يهلكون ويُعذَّبون، كما جرى لآل فرعون ومنْ قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤوا به من آيات الله وحججه» (تفسير ابن كثير ٤٨٤/١).

ولا يوجد أظلم ممن افترى على الله الكذبَ؛ بأن أثبت شريكًا له، أو نسَب إليه البنين والبنات، أو أنكر كون القرآن كتابًا نازلاً من عنده، أو أنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ» (الأعراف:٣٧).

قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلاً وأجهل قولاً وأبعد ذهابًا عن الحق والصواب ممن افترى على الله كذبًا، يقول: ممن اختلق على الله

زورًا من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها، أو كذَّب بآياته، يقول: أو كذَّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع عن صحتها، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ». (تفسير الطبري ٨/١٢٤).

وقد ذكر الله عن اليهود أنهم يتعمدون الكذب على الله، وذلك بتحريف الكلم عن مواضعه، ورجوعهم عن الاستقامة إلى الاعوجاج، وذلك بليِّ ألسنتهم بالكتاب، قال الله تعالى: «وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران:٧٨)، قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن اليهود-عليهم لعائن الله- أن منهم فريقًا يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويبدِّلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله، ولذا قال الله تعالى: «وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران:٧٥)». اهـ تفسير ابن كثير (٥١٧/١).

كما أن نسبة الولد إلى الله من أقبح الكذب عليه، قال الله تعالى عن القرآن الكريم: «وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف: ٤-٥)، والذين نسبوا الولد إلى الله ثلاث طوائف: كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله، والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، واليهود الذين قالوا عزير ابن الله، وقد أنكر القرآن الكريم نسبة الولد إليه، وعدَّ ذلك من منكرات الأقوال وقبيح الفعال، قال الله تعالى: «وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا» (مريم: ٨٨-٩٢).

ولعلنا نلاحظ من الآيات شناعة هذه الدعوى القبيحة، وذلك لأن اتخاذه الولد يدل على احتياجه، وهو الغني الحميد، والولد من جنس والده، وربنا سبحانه لا شبيه ولا مثل له- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قال القاسمي رحمه الله: «وفي رد مقالتهم وتهويل أمرها بطريق الالتفات؛ إشعارٌ بشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع، والتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجراءة والجهل. ثم وصف شدة شأن مقولهم بقوله سبحانه: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ» أي: يتشقَّقن؛ «وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ» أي: لأن: «دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا»؛ وذلك لغيرتها على المقام الربانيِّ الأحديّ أن ينسب له ما ينزه عنه ويشعر بحاجته ووجود كفء له وفنائه». (تفسير القاسمي ١٢/ ٤١٦٥).

كما أن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الذنوب، وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم منه، وتوعَّد فاعله بالنار، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا في صحيحه قال فيه: «باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم»، ثم ساق تحته حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تكذبوا عليَّ؛ فإنه من كذب عليَّ فليلج النار».

قال ابن حجر في شرحه: «هُوَ عَامّ فِي كُلّ كَاذِب، مُطْلَق فِي كُلّ نَوْع مِنْ الْكَذِب، وَمَعْنَاهُ لَا تَنْسُبُوا الْكَذِب إِلَيَّ. وَلَا مَفْهُوم لِقَوْلِهِ: «عَلَيَّ»؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّر أَنْ يُكْذَب لَهُ لِنَهْيِهِ عَنْ مُطْلَق الْكَذِب. وَقَدْ اِغْتَرَّ قَوْم مِنْ الْجَهَلَة فَوَضَعُوا أَحَادِيث فِي التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب وَقَالُوا: نَحْنُ لَمْ نَكْذِب عَلَيْهِ بَلْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَأْيِيدِ شَرِيعَته، وَمَا دَرَوْا أَنَّ تَقْوِيله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ يَقْتَضِي الْكَذِب عَلَى اللَّه تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ إِثْبَات حُكْم مِنْ الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة سَوَاء كَانَ فِي الْإِيجَاب أَوْ النَّدْب، وَكَذَا مُقَابِلهمَا وَهُوَ الْحَرَام وَالْمَكْرُوه». (فتح الباري: ١/ ١٩٩).

وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». (مسلم: ٣٠٠٤).

كما أخرج حديث علي تحت باب عنونه بقوله: «باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقال النووي في شرحه: «وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية الصحة، وقيل: إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوًا من أربعين نفسًا من الصحابة رضي الله عنهم». (شرح النووي على مسلم ١/٦٨).

وقد عدَّ العلماء الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر، وذكره ابن حجر الهيتمي في كتابه الكبائر، الكبيرة التاسعة والأربعون، وقال: «ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض» (الزواجر عن اقتراف الكبائر ص٩٠).

وعليه أقول لطالب العلم: احذر من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشيطان قد يزين ذلك لبعض الجهلة، ولا تذكر الحديث الموضوع إلا ببيان حاله. قال الإمام النووي: «الموضوع: هو المختلق المصنوع، وشر الضعيف، وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان إلا مبينًا» (تدريب الراوي ١/٢٧٤).

وافتراء الكذب على الناس دليل على خسَّة النفس ودناءتها، وهو أمارة من أمارات نفاق العبد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». (البخاري: ٣٣، ومسلم: ٥٩).

وبوَّب له البخاري بقوله: «باب علامة المنافق». قال ابن حجر رحمه الله: «ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها مبنية على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبَّه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخُلف». (فتح الباري ١/٩٠).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدق يهدي إلى الجنة، وأن الكذب يهدي إلى الفجور، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». (البخاري: ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧).

وفي الحديث حثٌّ على الصدق الذي يهدي إلى البر، وتحذير من الكذب الذي يهدي إلى الفجور. قال النووي: «قال العلماء: هذا فيه حثٌّ على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه حتى يعرف به، وكتبه الله لمبالغته صديقًا إن اعتاده، أو كذابًا إن اعتاده». (شرح النووي على مسلم ١٦/١٦٠).

فعلى الصادق في إيمانه، وطالب السلامة لقلبه أن يحذر مغبة الكذب؛ لأن عواقبه وخيمة وتضر بالنفس والدين، ومن عقوبة الكذب أن صاحبه يؤول أمره إلى ما جاء في الحديث، كما يحرم من هداية الله وتوفيقه، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» (غافر:٢٨).

كما يحرم الكذاب من نظر الله إليه يوم القيامة وتكليمه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب». (البخاري: ٢٣٦٩).

كما أن الكذب يكون سببًا في نقصان الرزق ومحق البركة، كما في حديث حكيم بن حزام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما». (البخاري: ٢٠٧٩).

قال ابن حجر: «وفي الحديث أن الدنيا لا يتم حصولها إلا بالعمل الصالح، وأن شؤم المعاصي يذهب بخير الدنيا والآخرة». (فتح الباري ٤/٣١١).

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق في القول والعمل، وأن يجنبنا الفحش في القول وسوء العمل، والحمد لله رب العالمين.

الخلاف وأصوله

الحلقة الثانية

أسباب وقوع الخلاف

إعداد أ.د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ؛

في المقال السابق تكلمت عن مشروعية الخلاف، وبيَّنت أن الخلاف أمرٌ فطري، لا محالة واقع ولا بد منه.

لكن السؤال: كيف نختلف؟ وكيف نتعامل مع الخلاف؟

الخلاف قد يأخذ منحى آخر غير المعتاد عند أهل العلم والسلف الصالح.

حيث إني ما رأيت أحدًا يختلف مع آخر إلا ويتحول إلى بغض وشقاق شديدين، في الغالب إلا ما نَدُر.

ولهذا قصدت الكلام في محوري الثاني الذي أطلقت عليه عنوان: أسباب وقوع الخلاف؛ وذلك حتى نكون على بينة من أمر الخلاف، لماذا يقع في الأصل؟ وإذا سألنا هذا السؤال للشريعة الغراء، سنجد الإجابة واضحة جلية بأنها تقول لنا:

الأسباب نوعان:

أسباب عامة، وأسباب خاصة.

أولاً: الأسباب العامة:

إن الناظر إلى شريعتنا يجد من الأمور التي قد تكون سببًا في الخلاف بلا خلاف، والتي هي بمثابة الإجابة عن السؤال في أمور:

أولاً: عمق الشريعة، وكثرة تخصصاتها، وترابطها ببعضها وشدة تعلقها ببعض

فمن المقرر أن علوم الشريعة تتنوع؛ منها علوم اللغة العربية التي عدَّ السيوطي منها في كتابه «المزهر في علوم اللغة»، نيفًا وأربعين لونًا، ومن علوم الشريعة أيضًا الفقه وأصوله وما يتعلق بها، وقد وُضع في الموسوعة الأوروبية على سبيل المثال- علم أصول الفقه خاصة من أصعب العلوم وأجدرها من بين العلوم التي تدرس في الجامعات عمومًا.

ومن علوم الشريعة أيضًا: علوم القرآن والتفسير والقراءات، وما يتعلق بهم.

ومن علوم الشريعة أيضًا: العقائد والمذاهب والأديان.

ومن علوم الشريعة أيضًا: علوم الحديث النبوي الشريف وما يتعلق به.

ومن علوم الشريعة أيضًا: السيرة النبوية والتاريخ والحضارة، وغير ذلك من العلوم التي لها صلة- من قريب- أو من بعيد بهذا الشرع الحنيف.

ولا يخفى على شريف أن ترابط هذه العلوم والاجتهاد فيها مع وجود لكل منها أصوله وفروعه، يُعطي عمقًا لهذه الشريعة يتمثل في ترابط هذه العلوم بعضها ببعض.

وقد أدرك علماؤنا الأجلاء ذلك قديمًا، فكتب الإمام الزركشي في برهانه بابًا بعنوان: «ما يحتاجه المفسر من أصول الفقه»، وقد تجد مثل هذا الترابط بين علوم الشريعة كثيرًا.

ولهذا فإن عمق الشريعة مع كثرة تخصصاتها وترابطها ببعض، قد يكون سببًا في وقوع الخلاف.

- **الأمر الثاني: التفاوت الطبيعي بين الناس في العقول، والمدارك والتخصصات والاهتمامات**

فقد بينا في المحور السابق- كما ذكرنا- أن الاختلاف أمر فطري؛ لما كان من طبيعة آلة الإدراك التي أودعها الله تعالى في صدور خلقه، فأما إن كانت هذه الآلة متفاوتة بين

الناس، كان من الطبيعي أن ما تدركه هذه الآلة أيضًا متفاوت.

وهذا مما لا شك ولا ريب فيه.

الأمر الثالث: التفاوت في تصور الوقائع والأعيان:

من الأمور المسلّمة البدهية أن ما ذكره المناطقة في قولهم: «الحكم عن الشيء فرع عن تصوره».

فمتى أراد إنسان أن يحكم على أمر لا بد أن يتصور هذا الأمر، وإلا فحكمه خيالي لا وجود له.

فمتى كانت آلة الإدراك متفاوتة في إدراكها، وجاءت لتتصور أمرًا ما، طُلب منها إبداء الحكم عليه، فلزم أن يكون ثمة اختلاف في هذا الحكم الذي ما نتج إلا عن اختلاف في تصور هذا الأمر.

الأمر الرابع: الهوى والتعصب، والجهل بطرق الاستنباط والتأويل البعيد

فمن الأمور التي كانت ولا تزال سببًا رئيسًا في الخلاف الهوى والتعصب في الرأي دون الآخر، وقد أدى لذلك جهل المتعصب بطرق الاستنباط، مما جعله يتمسك برأيه، ويظن أن الصواب كل الصواب فيه، وما عداه باطل لا صحة ولا صواب فيه.

وأيضًا هذا الجهل يؤدي به إلى تأويل بعيد- أحيانًا- لنصوص الشرع الحنيف، فجمع هذا المتعصب بين آفات شتى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا رأيت هوى متبعًا، وشحًّا مُطاعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك».

حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «فليسعك بيتك».

فآفات كثيرة أدت إلى اختلاف عظيم.

الأمر الخامس: مخالفة الأدلة القطعية التي لا لبس فيها

من الأمور البدهية أن الإنسان إذا اجتمع فيه الهوى والجهل والتعصب وحب التمسك بالتأويلات السابقة، قد يؤدي به هذا إلى مخالفة الأدلة القطعية التي لا لبس فيها ولا تقبل الآراء المتعددة، بل ليس لها إلا رأي واحد، لكن بجهله وتعصبه هذا جعل لها آراء متعددة.

ثالثًا: الأسباب الخاصة التي جعلت الخلاف واقعًا:

وهذه الأسباب هي مناط الحديث عنها عند أهل التخصص لهذا لا أفصل فيها القول كثيرًا؛ لأنها تخص أهل الذكر، فمثلاً تكلمت فيها مرة في محاضرة لقسم الدكتوراه في إحدى الجامعات العربية فقام الشباب بتفريغ مادتها وطباعتها في كتاب وسميته: «أعذار الفقهاء».

فمن أسباب الخلاف بين الفقهاء أو العلماء وأهل الذكر وهي:

أولاً: عدم وصول الدليل:

من المعلوم أنه قد لا يصل الدليل لأحدهم ويصل للآخر، فالأول لا استدلال له، والثاني يستدل.

وقد وقع هذا بين كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث أن أبا موسى الأشعري طرق الباب على عمر بن الخطاب في خلافته، وكان يصلي فلم يجبه مرة، ومرة، ومرة، وفي كل مرة يقول: أبو موسى، ثم انصرف بعد الثلاثة، ولما انتهى عمر من الصلاة تلمسه وسأله عن سبب انصرافه فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: استأذن ثلاثًا وإلا انصرف، فقال له عمر: إن لم تأتني بمن سمع معك هذا الحديث لأوجعتك ضربًا.

فأسرع أبو موسى إلى المسجد وقصَّ الأمر على جماعة منهم أبي بن كعب فقال له: على رسلك يقوم معك أصغرنا وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعًا. رواه مسلم.

فهذه الواقعة تثبت أن دليلاً لم يسمعه عمر، وسمعه أبو سعيد الخدري، فلا مانع أن يصل الدليل لعالم، ولم يصل لعالم آخر.

ثانياً: وصول الدليل مع اعتقاد نسخه:

أي قد يصل الدليل للعالم لكن يعتقد أنه منسوخ، وعليه لا يستدل به، بينما عالم

آخر لم يعتقد ذلك فيستدل به، فيحدث الخلاف بين الاثنين.

ثالثاً: وصول الدليل مع اعتقاد كونه ضعيفًا:

أي قد يصل الدليل للفقيه ويضعفه ولا يقوى عنده أن يكون دليلاً ينبني عليه حكم شرعيَ ثابت، وبالعكس فقيه آخر ليس الدليل عنده ضعيفًا بل قويًا فيستنبط عليه حكمًا فينشأ الخلاف.

رابعاً: نسيان الدليل من الأصل:

من المقرر أن النسيان أمر جبلي فطري، فقد يصل الدليل للفقيهين معًا لكن أحدهما قد ينساه فلا يترتب على ذلك حكم عند الناسي، والعكس مع الذاكر؛ فينشأ الخلاف.

خامساً: وصول الدليل مع الاختلاف في دلالته:

وهذا يعني أنه قد يصل الدليل للفقيه العالم، لكنه لا يجد دلالة فيه على الحكم، فلا يقول به، وعالم آخر يرى أن في الدليل دلالة على الحكم.

وقد بينا فيما سبق أن تفاوت العقول يؤدي إلى تفاوت المعقول، وهذا فطري لا غضاضة فيه.

آخرها: ترتيب الأدلة:

معلوم عند أهل الاختصاص أن الأدلة من حيث الحجية تنقسم إلى قسمين: متفق عليها، ومختلف فيها.

فالأول: القرآن والسنة والإجماع (خلافًا للخوارج)، والقياس (خلافًا للظاهرية).

والثاني: قول الصحابي، والعرف، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع، ومراعاة الخلاف (عند المالكية)، ومذهب أهل المدينة (عند المالكية أيضًا).

وأقل ما قيل (عند الشافعية)، والاستدلال.. إلخ.

وهذه الأدلة كل من الأئمة يرتبها على حسب الدلالة التي تظهر له فيها، فمثلاً: نجد الحنابلة يقدمون قول الصحابي على القياس، والمالكية يقدمون مذهب أهل المدينة، وأهل الرأي يقدمون الاستحسان والمصالح عن غيرها من الأدلة.

وهذا التقديم يكون من بابين عند أهل العلم:

درجة وصول الدليل، وبيان الدلالة فيه.

ولهذا زاد بعض أهل العلم أسبابًا للخلاف خاصة بالدلالة على الحكم، وجعل السابقة هذه خاصة بالدليل، فقال في الأسباب الخاصة بالدلالة على الحكم مثلاً:

أولاً: الاختلاف في قواعد تفسير النص:

فهذه القواعد التي اتخذها العلماء في آلية تفسير النصوص وتأويلها يستخدمها عالم بخلاف الآخر.

ثانيًا: الاختلاف في بعض الأصول والمصادر.

وهذا في استخراج الدلالات من النصوص.

وثالثًا: الاختلاف في الوارد فيما سكت عنه الشارع ولم يرد فيه نص من الأصل.

ورابعًا: الاختلاف الذي نشأ بسبب تعارض الأدلة في الدلالات.

فقد تكون دلالة أقوى وأخرى ضعيفة عند أحدهم والآخر العكس.

وأخيرًا: الاختلاف الوارد بسبب المصطلحات والمبادئ الفقهية عند كل فقيه.

فكل عالم له مصطلحات التي تمثل معطياته في الاستنباط والتي عليها يبني هذا الفقيه خروج الحكم عنده، وهذه تختلف من عالم لآخر.

هذا، وأعتذر للإطالة هذه المرة، لكن عسى أن يكون فيها إفادة، فأقل ما أبتغيه إن لم يرفع الخلاف أن ينشأ بيننا الود والمحبة، وأن يزيد هذا الخلاف بيننا الترابط والتماسك، وأن نعتقد بأننا في دائرة واحدة طالما أن الخلاف مقبول.

جعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه، وإلى لقاء آخر، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

سورة محمد ﷺ

الحلقة السابعة

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم» (محمد: ١٢ - ١٤).

ولَمّا بيّنَ الله تعالى ما هو فاعل بالمؤمنين والكافرين في الدنيا بيّنَ ما هو فاعل بالفريقين في الآخرة فقال: «إنّ الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم»

يقول تعالى ذكره: إنّ الله يُدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله، كما قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » (يونس: ٩)

«والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم»:

يقول جلّ ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همّة لها إلا في الاعتلاف دون غيره «والنار مثوى لهم» يقول جل ثناؤه: والنار- نار جهنم- مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم، «وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» (المائدة: ٢٧). (جامع البيان(٢٦/٤٧)).

فإن قيل: لماذا شبههم بالأنعام؟ قيل: لوجوه:

أحدها: أنّ الأنعام يهمّها الأكل لا غير والكافر كذلك. والمؤمن يأكل ليعمل صالحا ويقوى عليه.

وثانيها: الأنعام لا تستدلّ بالمأكول على خالقها والكافر كذلك.

وثالثها: الأنعام تُعلف لتسمن وهي غافلة عن الأمر، لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح والهلاك، وكذلك الكافر يأكل ويتمتع وهو غافل عما يصير إليه. ولذلك قال تعالى: « ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »(الحجر: ٣).

لطيفة في الفضل والعدل:

قال الرازي: قال تعالى في حق المؤمن: «إنّ الله يُدخل» بصيغة الوعد، وقال في حق الكافر «النار مثوى لهم» بصيغة تنبئ عن الاستحقاق لأنّ الإحسان لا يستدعي أن يكون عن استحقاق، فالمحسن إلى من لم يوجد منه ما يوجب الإحسان كريم، والمعذب من غير استحقاق ظالم. (التفسير الكبير (٢٨/٥٢)).

قال تعالى: «وكأيّن من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم».

العطف على جملة «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم

وللكافرين أمثالها»، وما بينهما استطراد اتصل بعضه ببعض. (التحرير والتنوير (٢٦/ ٩٠)).

و«كأين» مركبة من الكاف وأيّ، وهي بمعنى كم الخبرية، أي: وكم من قرية.

ومعنى الآية: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجوك منها أهلكناهم فلا ناصر لهم، فبالأولى من هو أضعف منهم وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي صلى الله عليه وسلم وهي مكة، فالكلام على حذف المضاف كما في قوله تعالى: «وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ» (يوسف: ٨٢).

وقد تكرر هذا التخويف كثيرا في القرآن الكريم:

قال تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (غافر: ٨٢)، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ» (غافر: ٢١)، وقال تعالى: «وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» (سبأ: ٤٥).

قال تعالى: «أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم».

يقول تعالى ذكره: «أفمن كان على بينة» على برهان وحجة وبيان «من ربه» والعلم بوحدانيته، فهو يعبده على بصيرة منه، بأن له ربًا يجازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار، وفي التعبير بوصف الرب وإضافته إلى ضمير الفريق تنبيه على زلفى الفريق الذي تمسك بحجة الله.

ومعنى وصف البينة بأنها من الله: أن الله أرشدهم إليها وحرك أذهانهم فامتثلوا وأدركوا الحق، فالحجة حجة في نفسها، وكونها من عند الله تزكية لها وكشف للتردد فيها وإتمام لدلالتها، كما يظهر الفرق بين أخذ العلم عن متضلع فيه وأخذه عن مستضعف فيه وإن كان مصيبا. و (على) للاستعلاء المجازي الذي هو بمعنى التمكن كما في قوله تعالى: «أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ» (البقرة: ٥).

وهذا الفريق هم المؤمنون وهم ثابتون على الدين واثقون بأنهم على الحق، فلا جرم يكون لهم الفوز في الدنيا لأن الله يسّر لهم أسبابه، فإن قاتلوا كانوا على ثقة بأنهم على الحق، وأنهم صائرون إلى إحدى الحسنيين فقويت شجاعتهم، وإن سالموا عنوا بتدبير شأنهم وما فيه نفع الأمة والدين فلم يألوا جهدا في حسن أعمالهم، وذلك من آثار أن الله أصلح بالهم وهداهم.

«كمن زين له سوء عمله» يقول: كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلا، فهو على العمل به مقيم «واتبعوا أهواءهم» يقول: واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة.

وقوله تعالى: «واتبعوا أهواءهم» تكملة، وذلك أن من زين له سوء عمله وراجت الشبهة عليه في مقابلة من يتبين له البرهان وقبله، لكن من راجت الشبهة عليه قد يتفكر في الأمر ويرجع إلى الحق، فيكون أقرب إلى من هو على البرهان، وقد يتبع هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية البعد.

والفريق الذين زين له سوء عمله هم المشركون، فإنهم كانوا في أحوال (السوأى) من عبادة الأصنام والظلم والعدوان وارتكاب الفواحش، فلما نبههم الله لفساد أعمالهم بأن أرسل إليهم رسولا بين لهم صالح الأعمال وسيئاتها لم يدركوا ذلك ورأوا فسادهم صلاحا فتزينت أعمالهم في أنظارهم ولم يستطيعوا الإقلاع عنها وغلب الفهم وهواهم على رأيهم فلم يعبأوا باتباع ما هو صلاح لهم في العاجل والآجل. (انظر جامع البيان(٢٦/ ٤٨)، التفسير الكبير (٢٨/ ٥٣)، التحرير والتنوير (٢٦/ ٩٢-٩٤).

والمقصود من إنكار المشابهة بين هؤلاء وهؤلاء هو تفضيل الفريق الأول، وإنكار زعم المشركين أنهم خير من المؤمنين، كما ظهر ذلك عليهم في مواطن كثيرة، قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ» (الأحقاف: ١١)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ» (المطففين: ٢٩- ٣٢)، وقال تعالى: «إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ» (المؤمنون: ١٠٩- ١١٠). (التحرير والتنوير (٢٦/ ٩٢و٩٣)).

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب الاقتصاد الإسلامي

منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة البطالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن من أكثر ما يهدد الإنسانية هو وجود عامل عاطل، وهو في أشد الحاجة إلى العمل وقادر عليه، حتى يستطيع الإنفاق على مطالب الحياة ويساهم في عمارة الأرض، وعبادة الله، وحماية نفسه من صور الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، فالبطالة تعني إهدارًا للموارد البشرية وعدم استغلالها لإنتاج الحاجات وتحقيق الغايات. وتنشأ مشكلة البطالة عندما لا يلتزم الإنسان بالفطرة السجية التي خلقه الله عليها، أو أنه يسيء استخدام ما سخره الله له من نعم، أو ينحرف عن الرشد في استغلال الموارد البشرية والطبيعية، فالإنسان هو سبب هذه المشكلة، ولن تحل هذه المشكلة إلا من خلال الإنسان الرشيد الذي يطبق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

إعداد أ. د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

ومن مخاطر مشكلة البطالة أنها تحطم الجوانب المعنوية والنفسية للإنسان، وتسبب ارتباكاً وخللاً في الأسرة، كما أن لها العديد من الآثار السياسية السيئة حيث تسبب خطراً على الاستقرار، وأحياناً قد تؤدي إلى الاستشهاد أو الانتحار.

وتأسيساً على ما سبق فإن التصدي لها يعتبر من الضروريات الشرعية والواجبات الدينية والمسئولية الوطنية، وهي قضية ولي الأمر والمجتمع بأسره، سواء بسواء، ولكن كيف تعالج هذه المشكلة في ضوء المنهج الاقتصادي الإسلامي، وهذا ما سوف نتناوله في البنود التالية.

تحليل طبيعة مشكلة البطالة في ظل المناهج الاقتصادية الوضعية.

يختلف علاج مشكلة البطالة باختلاف أيديولوجية النظام السياسي والاقتصادي، فيرى أنصار النظام الرأسمالي الحر أنه يقع على القطاع الخاص مسئولية إيجاد فرص عمل ويكون دور الدولة في هذا الصدد محدودًا، ومن سياسة الحكومة دعم هذا القطاع ومساعدته أو التيسير عليه لينطلق لاستيعاب العاطلين.

ويرى أنصار النظام الاشتراكي أن على الدولة مسئولية علاج مشكلة البطالة من خلال القطاع العام وتوفير فرص عمل لكل قادر عليه.

لقد ظلت مشكلة البطالة في متاهات المفاهيم الاقتصادية والوضعية المختلفة، وضاعف من مشكلة البطالة والكساد الاقتصادي الجات والعولمة وسيطرة فئة من رجال الأعمال على النشاط الاقتصادي.

مظاهر ومخاطر مشكلة البطالة.

من مظاهر تلك المشكلة في الواقع العملي بصفة عامة ما يلي:

- ضعف الاستثمارات القومية الموجهة إلى المشروعات الاستثمارية الجديدة لاستيعاب العاطلين، وتقليص هذا البند من ميزانية الدولة.

- عدم الرشد في الخصخصة وظهور ضحايا المعاش المبكر الذي لا يجدون أي عمل سوى المقاهي والجلوس أمام التلفاز.

- الكساد الذي يواجه القطاع الخاص وفشله في تشغيل العاطلين بسبب الانفتاح غير المنضبط على

استيراد سلع تنافس الوطنية.

- تركيز معظم القطاع الخاص على المجالات التي لا تستوعب عدداً كبيراً من العاملين، والمعيار هو الربحية العالية واسترداد رأس المال بسرعة.

- محدودية فرص العمل في العالم النامي والحاجة إلى الهجرة.

- مضاعفة أعداد المهجرين واللاجئين بسبب الحروب، ولا يجدون عملاً.

- انخفاض معدل الادخار بسبب الفقر وبالتالي ضعف الاستثمار في مشروعات استثمارية جديدة لأسباب شتى منها ارتفاع الأسعار.

- اتجاه الاستثمارات الحديثة في معظمها نحو مشروعات الكماليات والمظهريات والمضاربات والتعامل في سوق الأوراق المالية.

- تركيز بعض الاستثمارات على المجالات قصيرة الأجل.

ويثار السؤال: هل يوجد لدي فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي برنامج لعلاج مشكلة البطالة؟

هذا ما سوف نناقشه في البند التالي.

المنهج الاقتصادي الإسلامي لعلاج مشكلة البطالة:

يقوم المنهج الاقتصادي الإسلامي لعلاج مشكلة البطالة على المفاهيم والأسس الآتية:

- تنمية الباعث والحافز على العمل بصرف النظر عن التأهيل العلمي والوضع الاجتماعي باعتبار أن العمل عبادة وشرف وقيمة وعزة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي جاء يطلب الصدقة: «اذهب واحتطب». (المنهج التربوي لإيجاد العامل ذي القيم والأخلاق).

- تطبيق الصيغ الإسلامية لتمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر والقائمة على المشاركة وليس الفائدة، وهذا هو الاتجاه العالمي الآن (المنتجات الاستثمارية الإسلامية).

- إنشاء مراكز التدريب المهني والحرفي تحت رعاية المنظمات والمؤسسات غير الهادفة للربح مع إعطاء بعض الآمال لدعم المتفوقين لتمويل مشروعاتهم بنظام القرض الحسن أو المشاركة المنتهية بالتمليك (التدريب الفعال).

- الاهتمام بنظام الزكاة والقرض الحسن والهبات والوصايا والوقف لدعم المشروعات الاستثمارية الهادفة لعلاج البطالة تحت إشراف المؤسسات الخيرية الاجتماعية والمدنية (دور مؤسسات المجتمع المدني).

- تجنب الإسراف والتبذير في النفقات العامة، وتجنب النفقات العامة في مجال الكماليات والترفيهات وتوجيهها لتمويل المشروعات الصغيرة (ترشيد النفقات العامة).

- دعم سبل التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية وتطبيق قول الله تبارك وتعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى» (السوق العربية الإسلامية المشتركة).

- توجيه البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية لدعم وتمويل المشروعات الاستثمارية التي تستوعب أكبر عدد من العاطلين (دور المصرفية الإسلامية في تمويل المشروعات الاستثمارية).

- حماية المشروعات الهادفة والموجهة لعلاج البطالة من اتفاقيات الجات من خلال إصدار القوانين والقرارات والتوصيات اللازمة.

- إلغاء الكثير من الرسوم والضرائب والإكراميات والرشوة التي تعوق مشروعات علاج البطالة (ترشيد الضرائب).

بالإضافة إلى ما سبق يجب أن نتصدى لقضية البطالة بانعزال عن العديد من القضايا والمشاكل القومية الأخرى، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

قضية التربية والتعليم، قضية الضرائب، قضية حوافز الاستثمار والتمويل، قضية القطاع الخاص والخصخصة، قضية العولمة والجات، قضية الهجرة، قضية التكامل والتعاون بين الدول العربية، وهكذا.

تعقيب

وتأسيساً على ذلك يجب أن يكون هناك إصلاحٌ شامل للقضايا السابقة بالتوازي مع قضية البطالة، بمعنى أن توضع استراتيجيات متكاملة ومتناغمة في كافة محاور القضية من منظور عملي في ضوء الواقع والإمكانيات، بمعنى أنه يجب أن تعالج هذه القضية من منظور عملي تنفيذي وليس من منظور الدراسات والبحوث والمحاضرات والندوات... ولا يعني ذلك التقليل من أهميتها بل يجب أن يحول كل هذا إلى برامج عمل موضوعية قابلة للتطبيق في ضوء

الإمكانيات المتاحة وفي ضوء استراتيجيات وآليات التنفيذ.

السياسات الاقتصادية الاستراتيجية لعلاج قضية البطالة:

من أهم السياسات الواجب إعادة النظر فيها لتساهم في علاج قضية البطالة ما يلي:

- سياسة التعليم: والتركيز على التعليم المهني والحرفي في ضوء متطلبات سوق العمل.

- سياسة التمويل: توجيه الاستثمار نحو المشروعات التي تستوعب أكبر عدد من العاطلين والتي تقع في مجال الضروريات والحاجيات ودعم الاستثمار طويل الأجل.

- سياسة الضرائب: تخفيض أسعار الضرائب والتركيز على الضرائب على الدخل وعلى رأس المال وإعطاء إعفاءات للمشروعات المهنية والحرفية والصغيرة والتي تقع في مجال الضروريات والحاجيات.

- سياسة الخصخصة: ربط الخصخصة بعلاج مشكلة البطالة وليس بالبيع أو بالمعاش المبكر.

- سياسة التدريب: وضع برامج موضوعية ومتخصصة لتحويل مسارات الخريجين حسب متطلبات سوق العمل.

- سياسة اتفاقيات سوق العمل: إبرام اتفاقيات مع الدول العربية والإسلامية بإعطاء أولوية للعمال العرب والمسلمين.

- سياسة دعم وتحفيز مؤسسات المجتمع المدني في دعم المشروعات الصغيرة مثل الجمعيات الخيرية والاجتماعية ومؤسسات الزكاة والنقابات وما في حكم ذلك، وهذا ما سوف نتناوله في البند التالي لأهميته القصوى والفعالة والعملية.

دور مؤسسات المجتمع المدني (الجمعيات) في علاج مشكلة البطالة.

يؤكد الواقع الذي نشاهده أن للمشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر دور رئيسي في علاج مشكلة البطالة من خلال تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وعلى الأخص الجمعيات الخيرية والتي تطبق نظام القرض الحسن ونظام المشاركة المنتهية بالتمليك ونظام الإجارة المنتهية بالتمليك كبديل لنظام الفائدة الربوية والذي ثبت فشله.

وهناك تجارب ناجحة لدور الجمعيات الاجتماعية والخيرية في علاج المشكلة.. وتتلخص هذه التجارب في تركيزها على الآتي:

- دراسة موضوعية لطبيعة المشروع الصغير وبيان جدواه والحاجة إليه، ووضع معايير سليمة لاختياره.

- الاختيار الدقيق للشاب العاطل وتهيئته وإعداده وتدريبه لتشغيل المشروع الصغير المناسب له.

- توفير التمويل اللازم للمشروع الصغير من المصادر المختلفة، منها على سبيل المثال الهبات والإعانات والتبرعات والزكوات والوصايا.. بعيداً عن نظام الفائدة.

- اختيار طريقة التمويل المناسبة للمشروع الصغير ومنها على سبيل المثال:

القرض الحسن على آجال مناسبة.

المشاركة المنتهية بالتمليك خلال أجل مناسب.

الإجارة المنتهية بالتمليك خلال أجل مناسب.

المرابحة الإسلامية والبيع بالتقسيط.

طرق أخرى.

وتتجنب الطرق السابقة نظام القرض بفائدة لأنه سبب محق البركة والخسران.

- تقديم الدعم التسويقي والفني والمالي للمشروع الصغير خلال الإنشاء والتشغيل.

- المتابعة والمراقبة المستمرة للمشروع وتقويم الأداء وتنمية الإيجابيات وعلاج السلبيات.

- التطوير والتجويد إلى الأحسن للمشروعات الصغيرة وتنميتها.

خلاصة القول:

يقوم المنهج والبرنامج الاقتصادي الإسلامي لعلاج مشكلة البطالة على عدة محاور عملية منها: إعداد الإنسان إعداداً أخلاقياً وفنياً وتوفير التمويل اللازم للمشروعات بالصيغ الإسلامية، وحماية الدولة للمشروعات التنموية من خلال إعادة النظر في الضرائب ونحوها وتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في دعم المشروعات الصغيرة، وهذا يؤكد بأن طريقة الإسلام لا بديل لها. والله الموفق.

أحداث مهمة في تاريخ الأمة



غزوة مؤتة ٢

دروس وعبر

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

ففي اللقاء السابق تحدثنا عن غزوة مؤتة- أو معركة مؤتة- عن تاريخها، وأسبابها، وأحداثها من بدايتها حتى نهايتها، واليوم بعون الله نقف مع بعض الدروس المستفادة منها، والتي تحتاج إليها الأمة لتنهض من كبوتها وتقوم من عثرتها.

إعداد / عبدالرزاق السيد عيد

أقول مستعينا بالله: نعم، انتصروا ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم بشَّر بذلك من فوق منبر مسجده قبل عودة الجيش وقال: «.. حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم..» (رواه البخاري).

وما حدث في مؤتة هو فتح للمسلمين دون شك؛ لأننا إذا نظرنا إلى أصل المهمة التي كلف النبي صلى الله عليه وسلم بها الجيش فإنها كانت محصورة في تأديب الذين قتلوا رسول النبي الذي كان في مهمة سلمية، وهي الدعوة إلى الله وإلى الإسلام بالحسنى، ولم يأمرهم باحتلال أي منطقة من بلاد الشام ولا محاربة أي جيش، لكن هذا الجيش الصغير المكون من ثلاثة آلاف فوجئ بما لم يكن في الحسبان.

فوجد نفسه أمام مائتي ألف مقاتل من الرومان والعرب المتنصرة بكامل عددهم وعدتهم، ومع هذا الفارق الذي يصل إلى سبعين ضعفًا في العدد هذا بخلاف الفارق في العتاد وغيره، وكانت الروم حينذاك تسيطر على العالم تقريبًا ما عدا دولة فارس. ورغم هذا كله فقد قرَّر قادة الجيش الذين عيَّنهم النبي صلى الله عليه وسلم مواجهة الموقف، وقاتلوا بشجاعة وبسالة لا نظير لها؛ حتى استشهد القادة الثلاثة وبعد مقتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثالث القادة؛ حدث اضطراب في جيش المسلمين إلى أن تسلَّم الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقام بتنظيم الجيش من جديد، وشنَّ على الرومان هجومًا مضادًّا أزال به صفوفهم، وأشاع الرعب في قلوبهم، وأحدث فيهم مقتلة عظيمة، ثم انسحب الجيش سليمًا دونما أي فوضى أو اضطراب، وهذا الذي سماه كثير من المؤرخين فتحًا وهو الذي يوافق ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي رواه البخاري، وقد انتصر الإمام ابن كثير رحمه الله لهذا الرأي وغيره من المؤرخين، وقد أورد هذا مفصلاً في البداية والنهاية لمن أراد أن يعود إليه.

ثانيًا: أما الدروس المستفادة وهي الغاية من عرضنا والتي نحن في أشد الحاجة إليها، بل والأمة بأسرها من أقصاها إلى أدناها أحوج ما تكون إليها، فنستعين بالله ونورد منها ما يلي:

١ - العقيدة القتالية:

يحارب المسلمون بعقيدة قتالية لا يملكها أحد من العالمين، وهذا الذي جعلهم يقفون في مواجهة هذا الجيش الضخم العدد والعدة، ويلقنون الروم وغيرهم درسًا لا ينساه التاريخ أبدًا، وقد لخص عبد الله بن رواحة هذه العقيدة لإخوانه حين جلسوا للمشورة قبل بدء القتال لينظروا أمرهم، فقال: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين، إما نصر، وإما شهادة».

هذه العقيدة المتميزة هي التي جعلت المسلمين يواجهون هذا الجيش الضخم لا يهابون الموت؛ لأنهم عند موتهم شهداء سيفوزون بجنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن، أو الأخرى نصر من الله وفتح قريب.

٢ - منزلة الشهادة:

الشهادة في سبيل الله (وهي أن يُقتل المسلم لتكون كلمة الله هي العليا) منزلة عالية، ويكفي أن الله يصطفيهم بعلمه ولنفسه، قال تعالى: «وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ» (آل عمران:١٤٠)، وقد جاءت عقيب ما حدث في غزوة أُحد لتبين أحد أهداف القتال في سبيل الله ألا وهو (اتخاذ الشهداء). فالشهداء يختارهم ويصطفيهم ويُكرم نُزلهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم، لذلك كان المسلمون الصادقون يتسابقون للشهادة ويتنافسون عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

٣ - أهمية الجانب المعنوي في القتال:

ومع أهمية الجانب المادي والذي أمرنا الله بإعداده والاهتمام به حين قال سبحانه: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ» (الأنفال: ٦٠)، فإن الجانب المعنوي وهو العقيدة التي يقاتل عليها الجندي هي الأهم، ولا يستوي أبدًا مَن يقاتل على حق يؤمن به ويعتقده، ومن يقاتل على هدف غير معلوم أو على باطل موهوم.

٤ - أخلاق الحرب في الإسلام:

لا ينطلق الجنود في القتال على وجوههم لا يلوون على شيء، فيقتلون الكبار والصغار والنساء والأطفال، ويقطعون السبيل، ويحرقون الأخضر واليابس ويهدمون العمار ويخربون الديار ويعتدون على الحرمات

والأعراض، ولكن هناك ضوابط وأخلاق للجنود بيَّنها لهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويتضح هذا في وصيته للجنود في الوصية التالية:

أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا الذين هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله، وإلا استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم؛ وقال لهم: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً في صومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة ولا تهدموا بناء». (صحيح مسلم).

ألا فلتسمع الدنيا ولتنظر الدنيا ولتتعلم الدنيا من أخلاق معلم البشرية هذه أخلاق المحارب المسلم كما بينها رسول المرحمة ونبي الملحمة:

أ- اغزوا بسم الله، وليس باسم ملك أو باسم قبيلة أو دولة أو طائفة.

ب- وفي سبيل الله، وليس لدنيا يصيبها، أو شهوة يريدها، أو أرض يحتلها، أو مغانم يغنمها من مال أو معادن، وغير ذلك، بل في سبيل الله ونصرة دينه، وحذَّرهم من الغدر حتى لا يأخذوا عدوهم على غرة، وإذا عاهدوا عهدًا يوفونه كاملاً غير منقوص.

ج- ولا تغلوا: لا تبالغوا في القتل وتمثلوا بالجثث، ولا تسرفوا.

هـ- ثم فصَّل لهم صور الإسراف في القتل ونهاهم عنها: لا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً في صومعته؛ لأن هؤلاء لا يشاركون في القتال؛ فمن الغلو قتلهم دون مبرر.

و- ونهى الجنود عن التخريب والهدم، فقال: «لا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بيتًا»، هذه أخلاق النبي لجنوده حال الحرب ووصيته لهم، فأين هذا مما يقع في حروب اليوم من قتل للنساء والأطفال ومن التدمير والتخريب الذي يحصد البشر والشجر والحجر بل ربما يترك البيئة غير صالحة للحياة لسنوات طويلة.

٥- الأمة العظيمة تحافظ على أبنائها:

فكرامة مواطنيها من كرامة أمتهم وشرف أبنائها من شرف أمتهم، ولذلك جرَّد النبي صلى الله عليه وسلم الجيش لمهمة أساسية هي الثأر لمقتل الحارث بن عمير رضي الله عنه الذي كان متوجهًا بكتاب رسول الله إلى عظيم بصرى يدعوه إلى الإسلام؛ لأن دماء المسلم عند الله أعظم حرمة من الكعبة المشرفة، وليست هذه المرَّة الأولى ولا الأخيرة، فقد سبق أن جرَّد النبيُّ صلى الله عليه وسلم جيشًا لمعاقبة يهود بني قينقاع بسبب إهانتهم لامرأة مسلمة، وليس هذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فحسب بل استمر في أزمان قوة الإسلام وعزة المسلمين، وليس بخاف عنا كيف جرَّد المعتصم بالله في الدولة العباسية جيشًا لفتح عمورية سنة (٢٢٣) هجرية، فلما علم المعتصم بالله: إبراهيم بن هارون الرشيد بصرخة امرأة أهانها رومي ولطمها فصرخت: «وامعتصماه»، فجرَّد جيشًا يتوجه من بغداد إلى بلاد الروم لإنقاذ هذه المرأة وإجلاء الروم عن أطراف الدولة الإسلامية.

فهذه صور من عزة الإسلام وأهله في عصور مختلفة. وكيف كان المسلم عزيزًا أينما كان، رجلاً كان أو امرأة، صغيرًا أو كبيرًا؛ لأن الدولة الإسلامية كانت عزيزة وكلما كانت الدولة عزيزة كان أبناؤها أعزاء أينما كانوا، فأين هذا من واقعنا المؤسف اليوم حيث لا ترى دماءً مسالة إلا دماء المسلمين ولا أرضًا مغتصبة إلا أرض المسلمين، ولا أموالاً وأعراضًا مستباحة إلا أموال المسلمين وأعراضهم.

٦- يقظة الأمة خلف جيشها (الجبهة الداخلية):

من المهم هنا الاعتراف بشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه ومكانته الحربية وخبرته القتالية، وقد كان معروفًا بها قبل

إسلامه، فاعترف المسلمون بها ولم يبخسوه حقه مع حداثة دخوله في الإسلام، وقد منحه الرسول صلى الله عليه وسلم وسام الشرف من الدرجة الأولى، وسماه بسيف الله المسلول؛ تقديرًا لدوره العظيم في حماية جيش المسلمين من هلاك محقق فقد وفق الله خالدًا بعد أن تسلم قيادة الجيش، فعدَّل خطة الجيش حتى ظن العدو أن جيش المسلمين قد جاءه مددٌ من المدينة أو من مكان آخر، ثم باغت جيش الروم بهجوم مفاجئ أحدث فيهم خسائر فادحة، وقتل المسلمون ضمن ما قتلوا القائد العام لقوات العرب المتنصرة (مالك بن رافلة)، وأخا شرحبيل بن عمرو الذي قتل الصحابي الجليل، وترك المسلمون بقيادة خالد رضي الله عنه الجيش الكبير المكون من مائتي مقاتل في حالة رعب واضطراب لدرجة أنه لم يفكر في ملاحقة المسلمين المنسحبين بشرف وشجاعة.

٧- من المهم هنا الاعتراف بشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه ومكانته الحربية وخبرته القتالية، وقد كان معروفًا بها قبل إسلامه، فاعترف المسلمون بها ولم يبخسوه حقه مع حداثة دخوله في الإسلام، وقد منحه الرسول صلى الله عليه وسلم وسام الشرف من الدرجة الأولى، وسماه بسيف الله المسلول؛ تقديرًا لدوره العظيم في حماية جيش المسلمين من هلاك محقق فقد وفق الله خالدًا بعد أن تسلم قيادة الجيش، فعدَّل خطة الجيش حتى ظن العدو أن جيش المسلمين قد جاءه مددٌ من المدينة أو من مكان آخر، ثم باغت جيش الروم بهجوم مفاجئ أحدث فيهم خسائر فادحة، وقتل المسلمون ضمن ما قتلوا القائد العام لقوات العرب المتنصرة (مالك بن رافلة)، وأخا شرحبيل بن عمرو الذي قتل الصحابي الجليل، وترك المسلمون بقيادة خالد رضي الله عنه الجيش الكبير المكون من مائتي مقاتل في حالة رعب واضطراب لدرجة أنه لم يفكر في ملاحقة المسلمين المنسحبين بشرف وشجاعة.

٨- عالمية الإسلام:

لما كانت دعوة الإسلام دعوة للناس كافة « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ » (التوبة:٣٣)، فكان من الضروري إبلاغ الدين إلى أهل الأرض جميعًا لذلك أرسل رسله إلى قيادات العالم شرقًا وغربًا لدعوتهم إلى دين الله بالحسنى ومنهم الحارث بن عمير الذي قتله شرحبيل بن عمرو؛ والذي كان سببًا في غزوة مؤتة.

٩- كانت غزوة مؤتة بداية لنشاط عسكري في هذا الاتجاه، فكان لها ما بعدها، فكانت غزوة تبوك التي انتصر فيها المسلمون بالرعب مسيرة شهر، ثم كانت الغزوة التي عقد فيها النبي اللواء لأسامة بن زيد بن حارثة الذي قتل أبوه زيدٌ في مؤتة شهيدًا في مقدمة الشهداء (القادة الثلاثة)، هذا من ناحية كون مؤتة بداية لفتوح الشام ومصر.

وبسبب الشجاعة التي لم ير الروم مثلها ولا نصارى العرب والبسالة المنقطعة النظير والثبات في المعركة الذي ليس له مثيل؛ علم الروم والعرب أن المسلمين صنف مختلف من البشر يقاتل بعقيدة صحيحة في الله واليوم الآخر، وعلم العرب على وجه الخصوص أن المسلمين على حق وإلههم حق ورسولهم حق وأنهم منصورون بنصر الله لهم فبدأت قبائل العرب تدخل في دين الله أفواجًا.

١٠- إن العقيدة التي قاتل بها المسلمون الأوائل تنبع من كتاب الله وكتاب الله محفوظ بحفظ الله له ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قيَّض الله لها مَن يحفظها إلى أن يشاء الله، ولم يبق إلا أن يعود المسلمون إلى كتاب الله وسنة رسوله، مقتدين بصحبه الكرم إن راموا عزًّا ونصرًا؛ فلا صلاح لآخر هذه الأمة إلا على ما صلح عليه أولها، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله من وراء القصد.

باب السنة

نعمة الكلام وترويض اللسان

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنَّ من أعظم نعم الله على عباده جارحة اللسان، والتي أناط الله بها نعمة الكلام، وعلّق بها أسهل العبادات وأعلاها، ووعد المتعبِّد بها بأعلى الدرجات وأرقاها، ثم حذَّر المفرطين فيها المستهينين بها من أحطّ الدركات وأدناها؛ كما في حديث الشهر الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله وغيره.

أولاً: الحديث:

عَنْ أبي هريرة عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رضْوان اللَّه، لا يُلْقي لَهَا بالاً، يَرفَعُهُ اللَّه بها دَرجات، وإنَّ العبْدَ ليَتكلَّمُ بالكلمَة من سَخط اللَّه، لاَ يُلْقي لَهَا بَالاً، يَهْوي بهَا في جَهَنَّم».

ثانياً: التخريج:

رواه من أصحاب الكتب الستة:

١- الإمام البخاري في "صحيحه" (٣٠٨/١١ رقم ٦٤٧٧ و٦٤٧٨) في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، واللفظ له.

٢- وله شاهد لبعضه في صحيح مسلم (٢٢٩٠/٤ رقم ٤٩ و٥٠) في الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، ولفظه: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

٣- وشاهده في سنن الترمذي، ط بشار (١٣٧/٤) كتاب الزهد، باب قلة الكلام، رقم (٢٣١٩) من حديث بِلال بْن الحَارِثِ المُزَني رضي الله عنه.

٤- وابن ماجه في أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة ت الأرناؤوط (١١٣/٥) من حديث الحارث رضي الله عنه.

ثالثاً: الشرح:

قَوْله: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَة مِنْ رِضْوَانِ اللَّه) أي: إن العبد ليتكلم بالكلمة ممَّا يُرْضِي اللَّه، أو من توفيق اللَّه له. (لاَ يُلْقي لَهَا بَالاً) أي: لَا يلْتَفت إِلَيْهَا خاطره، وَلَا يعْتد بهَا وَلَا يُبَالي بهَا، وَمعنى البال هُنَا الْقلب. قَوْله: (يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجَات) يرفعهُ اللَّه بهَا دَرَجَات في الجنة (وَإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَة مِنْ سَخط اللَّه) ممَّا لَا يرضي اللَّه به مما يعارض الشرع (لاَ يُلْقي لَهَا بَالاً، يَهْوي بهَا في جَهَنَّم) ينزل بسببها في قاع النار ساقطا. (يُنظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧٢/٢٣)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٨٥/١٠)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٣٧/٨)) وغيرهم).

مما يُستفاد من الحديث:

أولاً: نعمة الكلمة:

اللسان عضو صغير خلقه الله، جعل خلقته دليلاً على وحدانيته، صغيرٌ حجمه جليلٌ أمره، عظيمٌ عند الواحد الديان؛ إذ هو طريق إلى الجنان أو إلى الخسران، معاذ الله.

هذا ومن دلائل وحدانيته فيه أن خلق

الله لكل ناطق من الحيوان لسانًا، وجعل لكلٍّ لغته ومنطقه، وعلم اللغات، وسمع الأصوات، ولا يختلف عليه صوت من صوت، ولا يشكل عليه منطق عن آخر قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ » (الروم: ٢٢).

ومع هذا فإن العبد تجاه ذلك اللسان بين كلمتين: كلمة من رضوان الله، وكلمة من سخط الله خسران، كما في حديث الشهر.

ثانيًا: الكلمة بداية النجاة:

والكلمة هي أول طريق النجاة إذ هي الوسيلة الأولى لتحقيق التوحيد، فلا إسلام بغير نطق بالشهادتين ابتداءً، ثم ما يتلو ذلك من ضوابط أخرى منوط بها اللسان كالإقرار والإنكار وغير ذلك من الأحكام، ثم هي من أهم وسائل تحقيق معنى الأمة التي تتوحد بها على كلمة التوحيد.

كما أنها من أهم وسائل الدعوة إلى الله؛ إذ هي من أهم معبرات الحكمة والموعظة الحسنة التي أمر بها الله (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (سورة النحل ١٢٥).

وبعد هذا كله: فالكلمة سبيلٌ إلى كسب قلوب الخلق لدعوتهم إلى الحق، وليست قصص النبي صلى الله عليه وسلم في السنة بقليلة، كتعامله مع الأعراب من بال منهم في المسجد وغيره.

ثالثًا: الكلمة جهاد:

والكلمة الطيبة سيفٌ به يُجاهد المسلم، فبها تقوم الحجة، ويرتد الباطل، وتنفتح القلوب بل والبلدان.

ولا يخفى أن فتح البلدان بالكلمة قدَّمه الشارع على فتحها بالسيوف والسنان، فما فُتحت المدينة المنورة إلا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وقد أسلم معظم أهل المدينة على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه، ثم كانت بيعة العقبة المباركة، وتبعها هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام للمدينة التي فتحت قلبها لدين الله قبل أبوابها، بل ومثاله في عصرنا كثير وكثير، وإلا فما هذه الملايين الكثيرة التي ملأت أمريكا وبعض أوربا وشرق آسيا والصين وقد أدخل الله في قلبها الإسلام، وما وصل إليها سيف ولا سنان.

فمتى أحيطت الكلمة بسياج الشرع آتت أكلها وهو ما بينَّه لنا الله عز وجل كنحو تعليمه لألين الخلق كما قال تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ » (آل عمران: ١٥٩).

فألف الله بسببها بين قلوب الأنصار كما قال تعالى: « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال: ٦٣)؛ فكانت نواة لأول ديار الإسلام.

سياج الشرع والعقل لست أعني به لين الكلام وحلوه فقط، بل كما يلين في مواضع يشتد في أخرى، كما قال المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مُضِرٌ كوضع السيف في موضع الندى

فكل له موضعه، فالقصد الحقيقي منه عبادة البيان.

رابعًا: الكلمة أمانة:

فالكلمة إذن ليست شيئًا يمكن أن يُلفظ فيُهمَل، بل هي مسجَّلة مكتوبة ومشهودة، فلا تضيع ولا تُنسَى؛ كما قال جل في علاه: « عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى » (طه: ٥٢)، وقال تعالى ذكره: « إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا » (الإسراء: ٣٦).

ثم وصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة لسيدنا معاذ رضي الله عنه وفيها ".. وهل يكب الناسَ على وجوههم أو قال

على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.." (رواه الترمذي)، وكما لا يخفى حديث المفلس ونحو ذلك، فضلاً عن حديث الشهر.

خامسًا: خطورة الكلمة:

هذا والكلمة مع كونها نعمة إذا كانت من رضوان الله؛ فهي نقمة إذا كانت من سخطه على العاصي؛ إذ كل مسطَّر عليه ما بين كاتب وشهيد، قال تعالى: « مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (ق: ١٨).

وقال تعالى: « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ » (النور: ٢٤، ٢٥).

بل ومن الخطورة أن الله تعالى يعاقب خير مجتمع على ظهر الأرض لمجرد كلمة قللت توكل بعضهم على ربه حين قالوا يوم غزوة حنين: لن نُغْلَب من قلة. نحن كُثيرون. فقال تعالى: « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ » (التوبة: ٢٥).

وبكلمة من رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول همَّت طائفتان أن تفشلا في غزوة أُحُد عندما عاد بثلث الجيش وهو على عين عدوه قال تعالى: « إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » (آل عمران: ١٢٢).

وبكلمة ظهرت آيات النفاق على من قال الله في شأنه: « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » (الأحزاب: ١٢)؛ وذلك أن طعمة بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلاً قالوا يوم الخندق: كيف يَعدُنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟ لما فشا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله ذلك عندما سمَّى وضرب الصخرة. (تفسير القرطبي لسورة الأحزاب، ص٤١٩).

ونحو ذلك مما حذَّر الله منه من خطورة كلام المنافقين على المؤمنين في تفشيلهم وفتنتهم كما في غزوة تبوك « لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » (سورة التوبة: ٤٧)، وعليه فإن من خطورتها قيام حروب وخراب بيوت، وارتداد عن الدين، وإزهاق أرواح. فاللهم عفوك يا عفوّ.

الخاتمة:

والخلاصة أنَّ الكلمة سلاحٌ له حدّ حادّ إلى الجنة، وآخر يؤدي إلى النار، فإن كانت من رضوان الله على الطائعين كانت الكلمة الطيبة الصالحة العامرة المأجورة بالجنان، وإن كانت من سخط الله على المعرضين كانت الخبيثة الباطلة الهادمة المعاقبة بالنيران.

هذا وانتبه يا أيها الحبيب فأنت في رجب، وهذه منَّة من الله، والله نسأل أن يبلغنا بعده شعبان ورمضان؛ فرجب غرس لرمضان كما قال بعض السلف: "السنة مثل الشجرة، وشهر رجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قُطّافها، جدير بمن سوَّد صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة في هذا الشهر، وبمن ضيَّع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر" (ينظر في ذلك: وظائف شهر رجب من لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للحافظ ابن رجب رحمه الله).

فهلا بدأنا من يومنا في ترويض جارحة اللسان لعبادة الرحمن بالذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وما استطعنا من شُعَب الخير من عبادات، أناط الله بها اللسان، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظ علينا ديننا وكتابنا وسنة نبينا وقلوبنا وألسنتنا، والحمد لله رب العالمين.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

أهمية تقويم الشخصية

الحلقة السادسة

إعداد د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال حديثنا موصولاً عن بعض مشكلات الشباب، وقد أوردنا في العدد الماضي المشكلة الأولى، وهي المعارضة والتصلب في المواقف، وحب الظهور، وإلقاء اللوم على الآخرين، وأوردنا الحل الشرعي والاجتماعي لهذه المشكلة.

والآن مع المشكلة الثانية:

تغلب العاطفة على المشاعر لدى الشباب

أثبتت الدراسات العلمية وجود علاقة قوية بين وظيفة الهرمونات والتفاعل العاطفي عند الشباب؛ بمعنى أن المستويات الهرمونية المرتفعة خلال هذه المرحلة تؤدي إلى تفاعلات مزاجية كبيرة على شكل غضب وإثارة وحدة طبع واكتئاب.

آثار العاطفة غير المنضبطة:

أولاً: قد يؤدي هذا إلى التعصب سواء تعصبًا للجنس، أو اللون، أو البلد، أو الجماعة، أو غير ذلك من ألوان التعصب المنافية لآداب الإسلام وعدله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». [رواه مسلم: ١٨٤٨.

يقول الدكتور عبد الرحمن العيسوي: «لما كان التعصب محصلة التفاعل بين كثير من العوامل المتداخلة التربوية والنفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأسرية؛ فإن علاجه يصبح مسألة صعبة، ولا يمكن وضع أسلوب سهل للعلاج». [جنوح الشباب المعاصر ومشكلاته: ص٣٩.

ثانيًا: وقد تؤدي العاطفة إلى حالة النرجسية، وهي في مدرسة التحليل النفسي تعني: حب الذات أو عشقها لا شعوريًا، «والحقيقة أن التطور الحديث لاستخدام هذه اللفظة يتسع ليشمل ليس فقط حب الذات، وإنما نزعة الفرد لكي يُقدِّر تقديرًا عاليًا جدًا في صفاته وخصائصه الجسيمة، بل وصفاته الشخصية وأفعاله العملية، أكثر مما هي عليه في الواقع». [جنوح الشباب: ص٥١.

ويحذر علماء الاجتماع من فقدان التوجيه في هذه المرحلة؛ حيث يعتبرون ذلك أكبر منزلق يمكن أن تزل فيه قدم الشباب، وخاصة إذا أضفنا إلى ذلك مشكلة الفراغ وكثرة المغريات والملهيات في عصر الانفتاح.. تقول الدكتور أنيسة فخرو في «نمو المراهق الاجتماعي»: «يميل المراهق الشاب إلى النقد والرغبة في الإصلاح.. فينظر إلى المجتمع نظرة ناقدة». [الشباب والأمل: ص٢٠.

الحل الشرعي:

تقييد العاطفة بالشرع:

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله في ذلك: «لأن العاطفة إذا لم تكن مقيَّدة بما يقتضيه الشرع والعقل، فإنما تكون عاصفة، ويترتب عليها من الضرر أكثر مما يترتب عليها من النصح، لذلك يجب أن يكون نظرنا بعيداً، ولست أريد بهذا أن نسكت على باطل، أو أن نؤيد باطلاً، ولكن أريد أن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نحاول بقدر استطاعتنا سلوك سبل الحكمة في إزالة هذا الباطل والقضاء عليه؛ لأن سلوك طريق الحكمة وإن طال فإن ثمرته ونتيجته ظاهرة للجميع، لذلك أحث إخواني وأبناءنا الشباب أصحاب هذه الحركة وهذه اليقظة على التأني، وبُعد النظر، والتعقل، وأن يجعلوا تصرفاتهم كلها على ما تقتضيه الشريعة، وأن ينظروا كيف كانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله وتغيير المنكر حتى يأخذوا منه أسوة حسنة، فنعم الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

مثال من أمثلة العاطفة مع النظر للأمر الشرعي من جانب واحد وعدم تقدير دفع شر الشرين، وأخذ خير الخيرين:

ما حدث يوم الحديبية، فلنلاحظ عاطفة عمر ومن معه من الصحابة وهم يرون شروط المشركين الجائرة، ويرون أخاهم أبا جندل يرسف في قيوده وقد عذبه المشركون أشد العذاب، وقد استطاع أن ينجو من شرهم وجاء إلى المسلمين ورمى بنفسه بين أظهرهم، ثم يرده النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمه للمشركين، فما عسى أن يصنع الشباب المتحمس اليوم، الذين تعصف به العاطفة عندما يرون الظلم الذي يقع على المسلمين في كثير من بقاع الأرض، ولا أحد يدافع عنهم، بل يتركون لعدوهم. فينبغي ضبط العواطف بميزان الشرع.

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق، وللحديث بقية.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٦)

٦٢٦- «الْبَسُوا الصوف، وشَمِّرُوا، وكُلُوا في أنصاف البطون؛ تدخلوا في ملكوت السماء».

الحديث لا يصح: خرَّجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٧٩/٣) وقال: «أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» بسند ضعيف». اهـ.

قلتُ: لا بد من معرفة العلة التي بها تُعرف درجة هذا الضعف؛ فقد زلت بعدم المعرفة أقوام وضلت أفهام، فهذا الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨/١ - الغرائب الملتقطة) (ح٦٨) قال: أخبرنا الدوني، أخبرنا الكسار، أخبرني ابن السني، أخبرني علي بن محمد بن عامر، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا محمد بن وهب القرشي، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور، عن محمد بن أبي مسلم عن أبيه عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث.

قلتُ: وعلته محمد بن وهب القرشي، قال الحافظ في «التهذيب» (٤٤٧/٩): «روى عن يحيى بن أيوب العلاف وجماعة، قال ابن عدي: له غير حديث منكر، وقال ابن عساكر: ذاهب الحديث». اهـ.

وعلة أخرى: هو الإرسال الخفي، قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٣٣/٢): «وقال بهز بن أسد: لم يسمع الحسن من أبي هريرة ولم يره، وقال شعبة: قلت ليونس بن عبيد: سمع الحسن من أبي هريرة؟ قال: ما رآه قط، وكذا قال ابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة». اهـ. فالحديث باطل بالسقط في الإسناد، والطعن في الراوي.

٦٢٧- "مَن استغفرَ الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة، لم يُكتَب في يومه من الغافلين، ومَن استغفر الله عز وجل في كل ليلة سبعين مرة، لم يكتب في ليلته من الغافلين".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٣٦٦) من حديث عائشة مرفوعًا، وعلته أحمد بن الحارث الواقدي؛ أورده الذهبي في «الميزان» (٣٢٥/٨٨/١): «أحمد بن الحارث الغساني، قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال البخاري: فيه نظر. وقال يعرف بالغنوي سمع ساكنة بنت الجعد». اهـ.

قلت: روى عنها هذا الحديث، قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر»، فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكن لطيف العبارة في التجريح، فليعلم ذلك». اهـ.

٦٢٨- "أديموا قَرْع باب الجنة يُفْتَح لكم"، فقلت: كيف نُديم قرع باب الجنة؟ قال: بالجوع والظمأ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٧٩/٣) مرفوعًا بصيغة الجزم. وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «الحديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٦٢٩- "كَانَ إِذَا اشْتَكَى اقْتَمَحَ كَفاً مِنْ شُونِيزٍ وَشَرِبَ عَلَيْهِ مَاءً وَعَسَلاً".

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣٤٢/١) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته: أبو عمران سعيد بن ميسرة، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٢٨١/١٦٠/٢): «سعيد بن ميسرة البكري البصري أبو عمران عن أنس، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، وقال الحاكم: يروي عن أنس موضوعات وكذبه يحيى القطان». اهـ.

٦٣٠- " خُذُوا شَطرَ دِينِكُم عَنْ هَذِه الحُمَيْرَاء".

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٤٣٢) وقال: «قال شيخنا- يعني ابن حجر- في تخريج ابن الحاجب من إملائه لا أعرف له إسنادًا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث». اهـ.

٦٣١- "صَلَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَمْزَةَ سبعينَ صَلَاة".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٨٨/٣) (٨١٤/٨٢) من حديث سعيد بن ميسرة البكري عن أنس مرفوعًا، وآفته سعيد بن ميسرة؛ كذاب، يروي الموضوعات عن أنس كما بينا آنفًا، وجعله الذهبي في «الميزان» (٣٢٨١/١٦٠/٢) من مناكير سعيد بن ميسرة.

٦٣٢- "ألسنَةُ الخلقِ أقلامُ الحقّ".

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح١٦٤) وقال: «لا أصله له».

٦٣٣- " كان الحجَرُ من ياقوتِ الجنة، فمسَحَهُ المشركون فاسْوَدَّ من مسحهم إياه".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٨٨/٣) (٨١٤/٨٢) من حديث سعيد بن ميسرة البكري عن أنس مرفوعًا، وآفته سعيد بن ميسرة، كذاب يروي الموضوعات عن أنس.

٦٣٤- " إنَّ لله مَلَكًا على بيت المقدس يُنادي كل ليلة: مَن أكل حرامًا لم يُقبَل منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٩٠/٢) مرفوعًا بصيغة الجزم. وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٦٣٥- "مَن رآني في المنام فإنَّه لا يدخل النارَ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٨٨/٣) من حديث سعيد بن ميسرة البكري عن أنس مرفوعًا، وآفته سعيد بن ميسرة، كذاب يروي الموضوعات عن أنس، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه ميسرة عن أنس أحاديث ينفرد هو بها عنه، وهو مظلم الأمر». اهـ.

باب فقه المرأة المسلمة

باب الطهارة

الحلقة السابعة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة بعض المسائل المتعلقة بالحيض؛ كحرمة الصلاة والصيام للحائض، والحكم إذا حاضت المرأة بعد دخول وقت الصلاة، وإذا طهرت الحائض قبل الفجر ونوت الصيام هل يصح صومها أم لا؟، وحكم قراءة القرآن للحائض؟ ونستكمل - بإذن الله تعالى- ما يتعلق بالحيض من أحكام.

أولاً: حكم دخول الحائض المسجد:

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: لا يحل للحائض دخول المسجد، وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء الحنفية (تبيين الحقائق ١/٥٦)، والمالكية (مواهب الجليل ١/٣٧٤) والشافعية (المجموع شرح المهذب ٢/٣٥٧)، والحنابلة (المغني ١/١٠٧).

واستدلوا بما يلي: حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد، فقال: «وجهوا هذه البيوت عن المسجد». ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يصنع القوم شيئًا رجاء أن تنزل فيهم رخصة، فخرج إليهم بعد فقال: «وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب».

أخرجه أبو داود (٢٣٢) كتاب الطهارة، باب: الجنب يدخل المسجد، وقال الخطابي في مختصر سنن أبي داود للمنذري (١/١٥٨): ضعفوا هذا الحديث وقالوا: أفلت بن خليفة مجهول لا يصح الاحتجاج به.

وضعَّفه الألباني في إرواء الغليل (١٩٣).

القول الثاني: يحل للحائض دخول المسجد إذا أمنت تلويث المكان، وهو ما ذهب إليه أهل الظاهر انظر المحلى لابن حزم (١/٤٠٠)، وهو أيضًا قول المزني صاحب الإمام الشافعي انظر المجموع (٢/١٦٠) وغيرهم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

الدليل الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ»- أخرجه البخاري (٢٨٥)، ومسلم (٣٧١)؛ فهذا نص عام يدل على أن المؤمن لا ينجس لا بجنابة ولا حيض ولا غير ذلك، ومن ثم فلا مانع من دخول الحائض المسجد.

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد (أو شابًا) ففقدها رسول الله فسأل عنها-أو عنه- فقالوا: مات قال: «أفلا كنتم آذنتموني» قال: فكأنهم صغروا أمرها-أو أمره- فقال: «دلوني على قبره» فدلوه، فصلى عليها.أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ لمسلم. (تَقُم: أي تجمع القمامة والكناسة).

ومعلوم أن هذه المرأة كانت تأتيها الحيضة، ولم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم من المكث في المسجد، ولو كان الحيض مانعًا من دخول المسجد لمنعها النبي صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثالث: أن عائشة رضي الله عنها عندما حاضت قبل أعمال الحج قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم إلا عن الطواف بالبيت فقط، ولم يمنعها من المكث في المسجد، ولو كان المكث في المسجد للحائض لا يجوز لمنعها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

الدليل الرابع: الأصل البراءة الأصلية؛ لأن الأصل عدم التحريم، ولم يقم دليل صحيح صريح على تحريم دخول الحائض المسجد، وما استدل به الجمهور من حديث «لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض» قد بينا ضعفه.

الدليل الخامس: أن العلماء أجازوا للكافر دخول المسجد رجلًا كان أو امرأة، بدليل ما روي عن أبي هريرة في حديث إسلام ثمامة بن أثال في البخاري ومسلم.

فإذا جاز للمشرك دخول المسجد جاز للمرأة المسلمة الحائض من باب أولى.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (١/٢٨٦): " وقد ذهب إلى جواز دخول الحائض المسجد وأنها لا تمنع إلا لمخافة ما يكون منها زيد بن ثابت، وحكاه الخطابي عن مالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر، ومنع من دخولها سفيان وأصحاب الرأي وهو المشهور من مذهب مالك.

قال ابن حزم في المحلى مسألة (٦٣٤) (٣/٤٣٢): " وإذا حاضت المعتكفة أقامت في المسجد كما هي تذكر الله تعالى، وكذلك إذا ولدت، فإنها إن اضطرت إلى الخروج خرجت ثم رجعت إذا قدرت لما قد بينا قبل من أن الحائض تدخل المسجد، ولا يجوز منعها منه إذ لم يأت بالمنع لها منه نص ولا إجماع- وهو قول أبي سليمان".

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يترجح لدي القول الثاني القائل بجواز دخول الحائض المسجد عند الحاجة إذا أمنت تلويث المكان؛ لقوة ما استدلوا به، وضعف دليل المخالفين، ولأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يأت دليل بالمنع، ولم يأت دليل بالمنع، وقد بينتُ ضعف الحديث الذي استدل به المانعون على عدم جواز دخول الحائض المسجد، والله تعالى أعلم.

ثانيا: غسل المرأة من الحيض:

إذا انقطع دم الحيض وجب على المرأة أن تغتسل، قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»- البقرة:٢٢٢.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت، جاءت فاطمة بنت أبي حبيش، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال: «لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي»- أخرجه البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣).

فأمر صلى الله عليه وسلم بالاغتسال والأصل في الأمر الوجوب.

قال النووي في المجموع شرح المهذب (٢/١٤٨): " أجمع العلماء على وجوب الغسل بسبب الحيض وبسبب النفاس، وممن نقل الإجماع فيهما ابن المنذر، وابن جرير الطبري، وآخرون".

ثالثا: كيفية غسل المرأة من الحيض:

صفة الغسل من الحيض، كصفة الغسل من الجنابة إلا في أشياء يسيرة:

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم «كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعَرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ غُرَفٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ»- أخرجه البخاري (٢٤٨)، ومسلم (٣١٦).

وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، غَيْرَ رِجْلَيْهِ، وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الأَذَى، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ المَاءَ، ثُمَّ نَحَّى رِجْلَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا، هَذِهِ غُسْلُهُ مِنَ الجَنَابَةِ». أخرجه البخاري (٢٤٩)، ومسلم (٣١٧).

ويستحب للحائض أن تأخذ شيئًا من مسك فتجعله في قطنة أو خرقة أو نحوها وتدخلها في فرجها، ومثلها النفساء.

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ المَحِيضِ؟ قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا» ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: «تَوَضَّئِي بِهَا» فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم- أخرجه البخاري (٣١٥)، ومسلم (٣٣٢).

وقوله توضئي بها: المراد به التنظيف والتطيب والتطهير. وكذلك سماه تطهيرًا وتوضئًا، والمراد الوضوء اللغوي الذي هو النظافة- فتح الباري لابن رجب (١/١٠٠).

رابعا: هل يجب على المرأة نقض ضفيرتها في غسل الحيض؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: يجب على المرأة أن تنقض ضفيرتها لغسل الحيض، وهذا قول للحنابلة- انظر المغنى (١/١٦٦)، وهو أيضًا قول ابن حزم انظر المحلى (١/٢٨٥).

واستدلوا بما يأتي:

١- عن عائشة قالت: «... فَأَدْرَكَنِي يَوْمُ عَرَفَةَ وَأَنَا حَائِضٌ، فَشَكَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «دَعِي عُمْرَتَكِ، وَانْقُضِي رَأْسَكِ، وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِحَجٍّ»، فَفَعَلْتُ»- أخرجه البخاري (٣١٧)، ومسلم (١٢١١).

والمشط لا يكون إلا في شعر غير مضفور- انظر المغني (١/١٦٦).

ولأنه صلى الله عليه وسلم لما أمرها بنقض الشعر في غسل الإحرام وهو سنة فلأن يجب في غسل الحيض من باب أولى- انظر عمدة القاري (٣/٢٨٨).

٢- ولأن الأصل وجوب نقض الشعر ليتحقق وصول الماء إلى ما يجب غسله، فعفي عنه في غسل الجنابة؛ لأنه يكثر فيشق ذلك فيه، والحيض بخلافه، فبقي على مقتضى الأصل وهو الوجوب- انظر المغني (١/١٦).

القول الثاني: لا يجب على المرأة أن تنقض ضفيرتها لغسل الحيض، وهو ما ذهب إليه الحنفية (البحر الرائق ١/٥٤) والمالكية (منح الجليل ١/١٢٧)، والشافعية (الأم ١/٥٦)، والحنابلة في قول (المغنى ١/١٦٦).

واستدلوا بما روي عن عبيد بن عمير، قال: بلغ عائشة، أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن. فقالت: يا عجبًا لابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن. أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن، «لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات»- صحيح مسلم (٥٨/٣٣١).

فدل ذلك على أن نقض الضفيرة لغسل الحيض ليس بواجب- عون المعبود ١/٢٩٩.

التعقيب والترجيح

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يترجح لدي القول الأول القائل بوجوب نقض الضفيرة عند الاغتسال من الحيض لحديث عائشة المتقدم، ولأن الأمر يقتضي الوجوب كما تقرر في الأصول، وأما ما استدل به أصحاب القول الثاني من حديث عبيد بن عمير، وفيه أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات» فنقول- وبالله التوفيق- إن حدث الحيض أغلظ من حدث الجنابة، وحدث الجنابة متكرر فيشق فيه نقض الضفائر، بخلاف الحيض فلا يشق فيه نقض الضفائر، لاسيما وأن هذا الحديث الذي استدلوا به ورد في غسل الجنابة لا في غسل الحيض، أما غسل الحيض فقد ورد بشأنه حديث عائشة السابق ذكره وفيه «دَعِي عُمْرَتَكِ، وَانْقُضِي رَأْسَكِ، وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِحَجٍّ»، فَفَعَلْتُ». والله تعالى أعلم. وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين



دوام ذكر المـوت يرقق القلب

إعداد الشيخ د. علي عبد الرحمن الحذيفي
خطيب وإمام المسجد النبوي الشريف

الحمد لله، الحمد لله الحي القيوم الذي لا يموت، ذي الملك والملكوت والعزة والجبروت، أحمد ربِّي وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القاهر فوق عباده، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد المجتَبَى وعلى آله وصحبه الحنفاء.

أما بعد: فاتقوا الله-تعالى- بطلب رضوانه، والبُعْد عن عصيانه، فتقوى الله صلاح أحوالكم في حياتكم والعُدَّة لما أمامكم مما تخافون وما تحذرون، هي الحصن من المهلِكات، وبها وعد الله الجنات.

عباد الله: كلٌّ يسعى في هذه الحياة لمنافعه وإصلاح أموره ومطالب معاشه، فمنهم مَنْ يُصلح دينه مع إصلاح دنياه، وهؤلاء الذين آتاهم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاهم عذاب النار، ومنهم مَنْ يسعى للدنيا ويضيع نصيبَه في الآخرة، وأولئك الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعامُ والنارُ مثوًى لهم.

وكلُّ هَمٍّ وعمل له أجل ينتهي إليه، قال الله-تعالى-: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النَّجم: ٤٢)، فسبحان الرب الذي جعَل في كل قلب شغلا، وأودع في كل قلب همًّا، وخلَق لكل أحد إرادةً وعزمًا، يفعل إذا شاء وأراد ويترك إذا شاء، وإرادة الله تبارك وتعالى ومشيئته فوق كل إرادة ومشيئة، قال الله-تعالى-: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (التَّكْوير: ٢٩)، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والموت غاية كل مخلوق على الأرض، والموت نهاية كل حي في هذه الدنيا، وقد كتبه الله-تعالى- حتى على الملائكة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام، وملك الموت يموت قال الله-تعالى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرَّحْمَن: ٢٦-٢٧).

والموت آخر الحياة الدنيا، وأول الدار الآخرة؛ إذ به ينقطع متاع الحياة الدنيا، ويرى الميتُ بعد موته إما النعيم العظيم أو العذاب الأليم، والموت آية من آيات الله الدالَّة على قدرة الله-عز وجل- وقهره لمخلوقاته،



قال الله-تعالى-: (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) (الأنعام: ٦١)، والموت عَدْل من الله-سبحانه-؛ تستوي المخلوقاتُ فيه، قال الله-تعالى-: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (العنكبوت: ٥٧)، والموت يقطع اللذات وينهي من البدن الحركات، ويفرِّق الجماعات، ويحول دون المألوفات، تفرَّد الله به مع الحياة، قال الله-تعالى-: (وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (المؤمنون: ٨٠).

الموت لا يمنعه بوَّاب، ولا يدفعه حُجَّاب، ولا يُغني عنه مالٌ ولا ولدٌ ولا أصحابٌ، لا ينجو منه صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا غنيٌّ ولا فقيرٌ ولا خطيرٌ ولا حقيرٌ، قال الله-تعالى-: (أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) (النساء: ٧٨)، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجمعة: ٨)، والموت يأتي بغتة بأجل؛ قال الله-تعالى-: (وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١١)، ولا يستأذن على أحد إلا الأنبياء؛ فإنه استأذن لكرامتهم على الله-عليهم الصلاة والسلام-؛ فاستأذن على كل أحد منهم، وفي الحديث: "مَا مِنْ نَبِيٍّ إلا خَيَّرَهُ الله بَيْنَ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ الْجنَّةِ أو الْمَوْتِ فَيَخْتَارُ الْمَوْتَ".

وشاء الله-تعالى- أن يُخرج ابن آدم من الدنيا بالموت ليقطع علائقَه منها؛ فلا تحنّ شعرةٌ منها إليها إذا كان مؤمنا، عن أنس-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "مَا أَحَدٌ لَهُ عِنْدَ الله مَنْزِلَةٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إلا الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ" (رواه البخاري ومسلم).

والموت مصيبة لا بد منها، وألم الموت لا يقدر أحدٌ أن يصفه لشدته، فالروح تُنزع به من العروق واللحم والعصب، وكل ألم شديد فهو دون الموت؛ عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْمَوْتِ وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فيه مَاءٌ وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ" رواه الترمذي، وفي بعض الروايات: "إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ".

قال رجل لأبيه في الاحتضار: صِفْ لي ألمَ الموت للعبرة؛ فقال: يا بُنَيَ: كأن شوكا معقوفا يجري في جوفي، وكأني أتنفس من ثقب إبرة، وقيل لمحتضر آخر: "كيف تجد؟ فقال: كأن الخناجر تختلج في جوفي". وقيل لآخر: كيف ألم الموت؟ فقال: كأن نارا تشتعل في جوفي".

ومن أدام ذكرَ الموت رقَّ قلبُه، وصلح عمله وحاله، ولم يتجرأ على المعاصي، ولم يضيع الفرائض ولم تغره الدنيا بزخرفها، واشتاق إلى ربه وإلى جنات النعيم، ومن نَسيَ الموتَ قَسَا قلبُه وركن إلى الدنيا وساء عملُه، وطال أملُه، فتذكُّر الموت أعظمُ المواعظ، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ؛ الْمَوْتِ" (رواه الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان)؛ ومعنى الحديث: قاطع اللذات ومُزيلها، وعن أُبَيِّ بن كعب-رضي الله عنه- قال: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إذا ذهب ثلثُ الليل قام فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ" (رواه الترمذي وقال: حديث حسن)، وعن أبي الدرداء قال: "كفى بالموت واعظًا، وكفى بالدهر مفرقًا، اليومَ في الدُّور وغدا في القبور" (رواه ابن عساكر).

والسعادة كل السعادة، والتوفيق كل التوفيق، والفوز كل الفوز في الاستعداد للموت؛ فالموت أول باب للجنة، أو أول باب للنار، والاستعداد للموت بتحقيق التوحيد لله رب العالمين؛ بعبادة الله وحده لا يُشرك به شيئا، ومجانَبة الشرك كله، عن أنس- رضي الله عنه- قال: "سمعتُ رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً" (رواه الترمذي وقال: حديث حسن).

الاستعداد للموت بحفظ الحدود والفرائض، قال الله-تعالى-: (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) (التَّوْبَة: ١١٢)، والاستعداد للموت باجتناب الكبائر من الذنوب والآثام، قال الله-تعالى-: (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا) (النِّسَاء: ٣١)، والاستعداد للموت بأداء حقوق الخَلْق وعدم تضييعها أو المماطَلة بها؛ فحقُّ الله قد يعفو فيه عما دون الشرك، وأما حقوق الخَلْق فلا يعفو الله عنها إلا بأخذها من الظالم وإعطاء المظلوم حقَّه، أو بالاستعفاء من المظلوم.

والاستعداد للموت بكتابة الوصية وألا يفرط في ذلك، والاستعداد للموت بأنْ يكون متأهِّبًا لنزوله في كل وقت، لمَّا نزل قولُ الله- تعالى-: (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) (الأَنْعَام: ١٢٥)، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ" قالوا: ما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: "الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلِقَاءِ الْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ".

والسعادة أن يُختم للميت بخير؛ ففي الحديث: "الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ"، عن معاذ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ كَانَ آخرُ كَلَامه: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"، (رواه أبو داود والحاكم بإسناد صحيح).

ومما يتأكد العمل به: تلقين المحتضر الشهادةَ برفق ولُطف؛ بأن يذكر الشهادة عنده يتذكرها ولا يُضجره فإنه في كرب شديد؛ عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" (رواه مسلم).

والشقاوة هي الذهول عن الموت ونسيانه، وترك الاستعداد له، والجرأة على المعاصي والذنوب، وتضييع توحيد الرب-جل وعلا- والعدوان والظلم بسفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام وتضييع حقوق الخلق والانغماس في الشهوات، والملذات المحرمات حتى ينزل الموت فلا ينفع الندم ولا يتأخر الأجل قال الله-تعالى-: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المُؤْمِنون: ١٠٠).

وبعد الموت ويوم القيامة تعظم الحسرة والندامة، قال الله-تعالى-: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (الزُّمَر: ٥٥-٥٩).

أيها المسلمون: حافظُوا على أسباب حُسْن الخاتمة؛ بإقامة أركان الإسلام الخمسة، واجتناب المآثم والمظالم، ومن أعظم أسباب حُسْن الخاتمة عن الموت:

دوام الدعاء بحسن الخاتمة، وقد قال



سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)، فالدعاء جماع الخير كله، عن النعمان بن بشير-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" (رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، وفي الحديث: "مَنْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْبَلاءُ".

وأسباب سوء الخاتمة عند الموت: تضييع حق الله وحقوق الخَلْق، والإصرار على الكبائر والآثام، والاستخفاف بعظمة الله، والركون إلى الدنيا ونسيان الآخرة.

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وقد قال-صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا"، فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا.

اللهم وارض عن الصحابة أجمعين وعن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم وارض عنا معهم بمَنّك وكرمك ورحمتك وفضلك يا أرحمَ الراحمينَ، ويا أكرم الأكرمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين يا رب العالمين، اللهم أذلّ الكفر والكافرين يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد-صلى الله عليه وسلم-، اللهم أظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره الكافرون يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك أن ترفع ما نزل بالمسلمين من الشدائد والكرب، اللهم ارفع ما نزل بالمسلمين من الشدائد والكرب يا أرحم الراحمين، اللهم ارفع ما نزل بالمسلمين من الشدائد والكرب في اليمن وفي فلسطين وفي الشام وفي سوريا وفي كل مكان يا رب العالمين، ظلم فيه المسلمون من أعداء الدين إنك على كل شيء قدير يا أرحم الراحمين، اللهم أطعم جائع المسلمين، اللهم واكسهم من عري يا رب العالمين، اللهم أوهم من تشرد إنك على كل شيء قدير، اللهم أنزل الأمن والطمأنينة والإيمان في بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم ارحمنا، اللهم لا تمنع عنا فضلك بسبب منا أو بسبب من غيرنا يا رب العالمين، أنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البَقَرَة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النَّحْل: ٩٠)، واذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه وفضله يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

باب
الفقه

أحكام الصلاة

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

الحلقة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فقد تناولنا في الحلقات السابقة عن الحالات التي تُكره فيها الصلاة؛ فتكلمنا عن كراهة أداء الصلاة بحضرة الطعام، والصلاة عند مدافعة الأخبثين، والصلاة عند إجهاد البدن وعند الفتور والنعاس، ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن الأوقات المنهي عن الصلاة فيها.

إعداد د. حمدي طه

ورد النهي عن أداء الصلاة في أوقات معينة والأصل في ذلك ما ورد في أحاديث، منها:

حديث عقبة بن عامر الجهني يقول: "ثلاث ساعات كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا؛ حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب". (صحيح مسلم برقم ١٩٦٦).

وعن أبي هريرة قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاتين؛ بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس" (صحيح البخاري برقم ٥٨٨).

وعن ابن عباس قال: سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهم عمر بن الخطاب وكان أحبهم إليَّ- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس. (صحيح مسلم برقم ١٩٥٨).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس». (صحيح مسلم برقم ١٩٦٠).

ورد في الأحاديث السابقة النهي عن الصلاة في خمسة أوقات؛ ثلاثة منها جاءت في حديث عقبة ابن عامر الجهني؛ وجاء في الأحاديث الثلاثة الأخرى النهي عن الصلاة في وقتين.

وأوقات النهي هي:

١- من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس.

٢- وقت طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح في رأي العين، ويقدر بحوالي ثلث ساعة تقريباً.

٣- وقت استواء الشمس في السماء إلى أن تزول - أي: حتى دخول وقت الظهر- ويقدر بحوالي ربع ساعة قبل صلاة الظهر تقريباً.

٤- من بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس.

٥- من وقت اصفرار الشمس حتى تغرب الشمس.

والمتأمل في أوقات النهي يجد أن منها وقتين ارتبط النهي عنهما بأداء صلاة الفرض، وهما النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر، والنهي عن الصلاة بعد صلاة العصر؛ فالنهي هنا لا يكون إلا عن النوافل، أما أوقات النهي الأخرى فترتبط بالوقت نفسه، وحكى أبو الفتح اليعمري عن جماعة من السلف أنهم قالوا: إن النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر إنما هو إعلام بأنه لا يتطوع بعدهما، ولم يقصد الوقت بالنهي كما قصد به وقت الطلوع ووقت الغروب.ويؤيد ذلك ما رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصلوا بعد الصبح ولا بعد العصر إلا أن تكون الشمس نقية"، وفي رواية: (مرتفعة)؛ فدل على أن المراد بالبعدية ليس على عمومه، وإنما المراد وقت الطلوع ووقت الغروب وما قاربهما. (فتح الباري- ابن حجر ٦٢/٢).

فهل يشمل النهي عن الصلاة في هذه الأوقات أداء الفرائض؟ وهو ما سيأتي بيانه بعد ذلك.

ما الحكمةُ من النَّهي عن الصلاة في هذه الأوقات؟

الجواب من وجهين:

أولاً: يجب أن نعلمَ أنَّ ما أمرَ اللَّه به ورسولُه، أو نهى اللَّه عنه ورسولُه فهو الحكمة. فعلينا أن نسَلِّمَ ونقول: إذا سألَنا أحدٌ عن الحكمة في أمرٍ من الأمور: إن الحكمةَ أمرُ اللَّه ورسولِه في المأمورات، ونهيُ اللَّه ورسولِه في المنهيَّات.

ودليل ذلك: من القرآن قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (الأحزاب: ٣٦)، وسُئلت عائشة رضي اللَّه عنها: ما بَالُ الحائض تقضي الصَّومَ ولا تقضي الصَّلاةَ؟ فقالت: «كان يصيبنا ذلك فنؤمَرُ بقضاء الصَّوم ولا نؤمر بقضاء الصَّلاة» (صحيح البخاري)، فاستدلَّت بالسُّنَّة ولم تذكرْ العِلَّة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة؛ أن تكونَ مسلِّماً لأمر اللَّه ورسوله عرفتَ حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته؛ لقلنا: إنك ممن اتَّبعَ هواه، فلا تمتثل إلا حيث ظهرَ لك أنَّ الامتثال خير. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١١٥/٤).

ثانياً: الحكمة من النهي عن الصلاة في هذه الأوقات:

هي أن الأوقات الثلاثة الأولى ورد تعليل النهي عن الصلاة فيها في حديث عمرو بن عبسة عند مسلم وفيه سؤاله للنبي-صلى الله عليه وسلم-: أخبرني عن الصلاة قال-صلى الله عليه وسلم-: «صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم؛ فإذا أقبل الفيء فصَلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار».

قال النووي: "قيل المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه. وقيل غلبة أتباعه وانتشار فساده. وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه هو على ظاهره. قال: وهذا الأقوى ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة، وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط ظاهر، وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم؛ فكُرهَت الصلاة حينئذ صيانةً لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان. وفي رواية لأبي داود والنسائي: (فإنها تطلع بين قرني شيطان فيصلي لها الكفار). (شرح صحيح مسلم ١١٣/٥). فالحكمة هي إما التشبه بالكفار عبدة الشمس، أو لكون الزوال وقت غضب. (الفقْهُ الإسلاميُ وأدلتُهُ ٥٩٤/١) بتصرف.

فهذه الأوقات يعبدُ المشركون فيها الشَّمسَ، فلو قمت تُصلي لكان في ذلك مشابهة للمشركين، لأنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، وعند غروبها. كما جاء في الحديث السابق.

لكنه يَردُ علينا أنَّ هذا ينطبقُ على ما كان من طُلوع الشَّمس إلى أن ترتفعَ قَيْدَ رُمْح، وعلى ما كان حين تضيَّفُ الشَّمسُ للغروب حتىَ تغربَ، لكن كيف ينطبق على ما كان من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشَّمس، ومن بعد صلاة العصر إلى أنْ تتضيَّفَ الشَّمسُ للغروب، وكيف ينطبق على النَّهي في نصف النهار حين يقوم قائمُ الظَّهيرة؟

فنقول: لما كان الشِّركُ أمرُه خطيرٌ، وشرُّه مستطيرٌ، سَدَّ الشَّارعُ كلَّ طريق يُوصل إليه، ولو من بعيد، فلو أذنَ للإنسان أنْ يصليَ بعد صلاة الصُّبح لاستمرَّت به الحالُ إلى أن تطلعَ الشمسُ، ولا سيما مَنْ عندهم رغبةٌ في الخير، وكذلك لو أذنَ له في أن يصليَ بعد صلاة العصر لاستمرَّت به الحالُ إلى أن تغيبَ الشمسُ.

أما عند قيامها فقد عَلَّلَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بأن جهنَّمَ تُسْجَر، أي: هذا الوقت يُزاد في وقودها؛ فناسب أن يبتعد النَّاسُ عن الصَّلاة في هذا الوقت؛ لأنه وقت تُسجر فيه النَّار، فهذه حكمتُه.فالواجبُ على المسلم أن يكون مباينًا للمشركين في كل شيء؛ لأنه مسلمٌ.. فإذا صَلَّى الإنسانُ عند طُلوع الشَّمس أو غروبها تشبَّه بالمشركين في عبادتهم. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١١٥/٤) بتصرف.

وهذه الأوقات اختلف العلماء فيها في موضعين: أحدهما: في عددها.

والثاني: في الصلوات التي يتعلق النهي عن فعلها فيها.

المسألة الأولى: اتفق العلماء على أن ثلاثة من الأوقات منهي عن الصلاة فيها، وهي: وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، ومن لدن تصلي صلاة الصبح حتى تطلع الشمس.

واختلفوا في وقتين: في وقت الزوال، وفي الصلاة بعد العصر، فذهب مالك وأصحابه إلى أن الأوقات المنهي عنها هي أربعة: الطلوع والغروب، وبعد الصبح وبعد العصر، وأجاز الصلاة عند الزوال.

فذهب الشافعي وأصحابه أن هذه الأوقات الخمسة كلها منهي عنها إلا وقت الزوال يوم الجمعة، فإنه أجاز فيه الصلاة.واستثنى قوم من ذلك الصلاة بعد العصر.

وسبب الخلاف في ذلك أحد شيئين: إما معارضة أثر لأثر، وإما معارضة الأثر للعمل عند من راعى العمل؛ أعني عمل أهل المدينة.

المسألة الثانية: اختلف العلماء في الصلاة التي لا تجوز في هذه الأوقات، فذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنها لا تجوز في هذه الأوقات صلاة بإطلاق، لا فريضة مقضية، ولا سنة، ولا نافلة إلا عصر يومه، قالوا: فإنه يجوز أن يقضيه عند غروب الشمس إذا نسيه.واتفق مالك والشافعي أنه يقضي الصلوات المفروضة في هذه الأوقات.

وذهب الشافعي إلى أن الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات، هي النوافل فقط التي تُفعل لغير سبب، واختلف قول مالك في جواز السنن عند الطلوع، والغروب. (بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ٨٦/١) بتصرف.

نوع الحكم المستفاد من النهي:

فهو حرمة النافلة عند الحنابلة في الأوقات الخمسة، وعند المالكية في الأوقات الثلاثة،والكراهة التنزيهية في الوقتين الآخرين.

والكراهة التحريمية عند الحنفية في الأوقات الخمسة، وهو المعتمد عند الشافعية في الأوقات الثلاثة، والكراهة التنزيهية في مشهور مذهب الشافعية في الوقتين الآخرين.

والحرمة أو الكراهة التحريمية تقتضي عدم انعقاد الصلاة، وبالرغم من أن كلاً من الحرام والمكروه تحريماً يقتضي الإثم عند الحنفية، إلا أن الحرام: هو ما ثبت بدليل قطعي لا يحتمل التأويل من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس. وكراهة التحريم: ما ثبتت بدليل يحتمل التأويل. (الفقهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ٥٩٥/١) بتصرف.

وسيأتي بيان ذلك، وأدلة كل مذهب، ومعرفة الراجح من ذلك في الحلقة القادمة إن شاء الله.

حفظُ الجوارح عقبةٌ كَؤودٌ

لا يَجُوزُها المُثَقَلُونَ بالأَوْزَارِ

إعداد: د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي أسلم له من في السموات والأرض من لا يَعقل منهم وذوو العقول الصحيحة والنَّظر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي حنَّ له الجذع وانقادَ الشجر، وعلى آله وأصحابه ذوي الخشية والحذر، ومن تبعهم بإحسان واقتفى منهم الأثر وبعد، فأقول فيه مستعينًا بالله مؤمِّلاً معونته على الصواب وراجيًا توفيقه إلى هُداه: إنَّ منْ أجلّ نعم الله تعالى على عبْده المؤمن نعمتيْن جليلتيْن هما: إنعامُه سبحانه على العبد بالطاعة ومنْعُه من المعصية، فالأولى: معونته له على أمر دينه وتيسيره له وتوفيقه، والثانية: إلهامُه حجابًا يمنعُه من الآثام، وحاجزًا يحظُره من المعاصي، ولا يختلفُ اثنان أنَّ حفظَ الجوارح من المعاصي يحتاجُ إلى امرئ مهاجر إلى الله ورسوله، ويفتقر إلى عبْد قد تغرَّبَ عن الخلْق وأوى إلى كهْف العُبودية وهو باسطٌ ذراعيه أو كفيه بوَصيده لحراسة جوارحه من الشيطان ثم يجدُّ في عمله وهو قائمٌ غير حصيد وبغير ذلك لن يُصلح المرءُ من شأنه، ولن يُفلحَ إذًا أبدًا؛ إذْ هذا أمرٌ لابدَّ أن يكون من قرارة نفسه وداخلته.

وليس بمغنٍ في المودة شافعٌ
إذا لم يكن بين الضلوع شفيعُ

واعلم أنَّ الشيطانَ ينفخُ في المرء ويخيّل إليه أنَّه من أهل الورع والزُّهد مع أن عمله لا أثرَ له في إيمانه ولا في حياته وأيامه، وبعض هؤلاء لا يصلُ عملُه إلى أن يكونَ شيئًا مذكورًا، وربما كان مقتحمًا لمحرمات وآتيًا لمنكرات، كما قد يهوّن الشيطانُ عليه كلَّ رذيلة، ليُشعرَه بأنه لا يَفعلُ شيئًا من الخطايا، وممّا يُعين المرءَ على حفظ جوارحه من الأوزار أمورٌ مفتقرة إلى الجدّ والاجْتهاد؛ إذْ ليستْ بالقلوب ألصقَ لصعوبتها، ولا بالنفوس أعلقَ لمشقتها، ولا في الأسماع أنفذَ لوُعورتها، غير أنّ فاعلها موفقٌ ملهمٌ معانٌ على نفسه لذا تَجدُه بعيدًا من الحيْرة، مُشفيًا على المراد قريبًا من الغَرض، وإليك بعض المداخل التي تحل عقدة الأوزار وتزيل كل عقبة دون ذلك والله سبحانه المرجو أن يحقق فينا ذلك.

أولاً: الخوف من الله:

وهو- عند من عقلَ أمرَ دينه وفهمَ العواقبَ- من جلائل النِّعم وسوابغ الآلاء والقسَم، غير أنه في زماننا تقلُّ قيمتُه، وتصغر قمّته مع جلالة شأنه، وعُلوّ مكانته، وعظيم أثره في حال المرء مع ربّه وأحواله عند الطاعات والمعاصي، والخوف قرارةُ العمل الصالح وغايته ونهايته، إذ الغايةُ من العبادة تحقيقُ الخوف من الله وتحصيلُه باعتبار أنّ العبادةَ ذلٌ تامٌ وحبٌّ كاملٌ ولا يكون الذل كاملاً

إلا مع الخوف، كما أنه مَجْمَع الخير كلّه لأنّ الخائفَ ينظرُ إلى غيره نظرَ عبرة وتذكّر وإلى نفسه نظرَ موعظة وتدبُّر، والخوفُ شيءٌ لا يَخْفَى إذ الخائفُ تبدو عليه علاماتُ الخوف فهو شيءٌ يَجيش في الصّدر، ويَضيقُ عن كتْمانه الصّبْر قال تعالى: « وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (آل عمران: ١٧٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خافَ أدْلجَ ومَنْ أدْلجَ بلغَ المنزلَ» رواه الترمذي (٢٤٥٠).

والخوف عاقبتُه ألذّ من الزّلال العذْب، وأحلى من تَعْريسة الفَجْر، فمن خافَ الله تعالى عَزَبَتْ عنه همومُ الدُّنيا، ولم يخفْ إلا الختامَ وسوءَ الحساب والجزاء، وهما (الختام والحساب) السِّرّ المكتوم، والخبرُ غير المعلوم، وإذا بلغ المرءُ من الخوف منزلة حسنة لا بأس بها غَلَبَ عليه حبُّ العمل الصالح، واتّخذهُ مطيّةَ المطايَا، وجعله شُغْله الشّاغل ثم لا يُفقده الله تعالى في مكان يحبُّه فيه، ولا يجدُه في موضع يكرهُه فيه، ولا يطلبه الشيطانُ في موضع فيجدُه ولا يشهد المعصية أيضًا في نفسه ولا في غيره كما قال تعالى: «والّذينَ لا يَشْهَدُونَ الزّورَ»، ولا يستطيع الصبرَ عن إتيان الطاعة كما لا يستطيعُ الصبرَ أيضًا على فعل المعصية؛ لأنَّ الخائفَ يحبُّ ما يرجُو، ويكرهُ فواته، ويسعى أشدَّ السعي في تحصيله، بل إذا حضرَ وقتُ العمل الصالح طارَ قلبُه له اشتياقًا، وذابتْ له نفسُه احتراقًا، وهذا منَ اكتمَال فهْم العبد، ونُضْج عقله، وقوّة بصره، وشفوف نظره.

إذا كمَّل الرحمنُ للمرءِ عقلَه

فقدْ كمُلتْ أخلاقُه وضرائبُهْ

يَعيشُ الفتى بالعقل في النّاس إنّه

على العقل يَجْري علمُه وتجاربُهْ

ومن الأمور التي لا تُحْتَجَبُ أنوارُها إلا على أكْمَه أنّ الخوفَ من الله أمرٌ يُعدُّ من أقوَى الدّوافع على الطّاعة والبُعْد عن المآثم، وهو حاجزٌ للعبد عن عثَرات الشّباب، ومعينٌ له على لُزوم الصّدق والتُّقى، ومن قرأ سيَرَ السّلف وجدَ خوفَهم هو المحرّكَ الأساسيّ والعامل الرئيسَ في كل أحوالهم الإيمانية والقلْبية، ومن هنا ندركُ أنّ الخوفَ ولودٌ لا عاقرٌ، ولكُل أبواب الخير فاتحٌ، ولبطون الأعمال باقرٌ، فمن يتركُ الخوفَ يتعثّرُ في عشْواء الجهالة ويتخبّطُ في أوديَة الضّلالة فيخْلط ويُخَلّط ويصيرُ ضُحْكة للبطالين وهُزْأةً للسّاخرين ونعوذ بالله من الخذلان.

ثانيا: تهذيبُ النّفس وحُسن سياستها:

وهو أمرٌ نافعٌ مفيدٌ، ومحصّلُه موفقٌ سعيدٌ؛ لأنّ تهذيبَ النّفْس وإصلاحَها أشدُّ من سلّ السيوف، وأشقُّ من مُصاوَلة الصُّفوف، وأصعبُ من منازَلة الحتُوف، وقد جعل الله تعالى الخيرَ كلّه والفلاحَ في صلاح النّفس والخيبةَ والشرَّ في فسادها فقال: «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ليْسَ الغنَى عَنْ كثْرة العَرَض، ولَكنَّ الغنَى غنَى النَّفْس» رواه البخاري(٦٤٤٣).

العبدُ عبدُ النّفس في شهواتها

والحرُّ يشبعُ تارةً ويجوعُ

ولهذا يتأخر كثيرون عن بُلوغ الوطر منه، ويتعطّلون عن إدْراك الظّفَر به؛ إذ لا يقومُ به إلا من ألهمَ الصّدْق، ورُزقَ تَصْحيحَ النيّة، وأعينَ على تحقيق الإخلاص ووُفّقَ للخبْرة بدروب النّفوس ومعرفة مسالكها ويعين على ذلك مطالعةُ كُتب السُّلوك لما فيها من تصْحيح المعاملة، وإصْلاح القُلوب، والعمل على السَّيْر الصحيح إلى الله تعالى، ومثلُ هذا أكثرُ ما تجدُه في كُتب الإمام ابن القيم، وهو رجلٌ إمامٌ في هذا الفنّ، وعالمٌ شديدُ الأنس بهذا العلم اللطيف الشّريف، ومتبحّرٌ فيه وواسعُ المدارك لأبوابه وأحواله، وذو قدم راسخة فيه، ومكان مكين، وبصر نافذ، وإحاطة كبيرة كأنّه كانَ مخلوقًا له وكذا شيخُه ابن تيميّة رحمةُ الله عليهما ولا غرو فهُما رجُلان عَركَتْهما الأيام عرْكَ الأديم، وعرفُوا كيف يُخادعُ العبادَ الشيطانُ اللئيمُ؛ فمن طالعَ كتُبهما ظَفر بغُرَره وعُيُونه، وحصّل أبكارَ فُنونه، ولم يزلْ أمْره في صَعود، وحالُه في صلاح حتى يُصبحَ عند الله عبدًا زاكيًا، ومن أدوائه معَافَى وحسبُك بالله تعالى من كلّ داء شافيًا.

هذا بخلاف من يدّعون المعرفةَ بالنُّفوس وأحوالها وهم حفاةٌ عراةٌ من ذلك فهم كمن يتدرّع الشيء وهو عارٍ عنه، ويُظهر القربَ منْه وهو ناءٍ بحاله وبعيد منْه، وهذا الأمر لا بُد فيه للنفس من أدب لبلوغ الحاجة منه والأرب، وذلك بأمور مهمّة أنَبِّهك على فضلها، وأوقفك على نُبلها، وأكشف عن بعض سرائرها وألطاف معانيها حتى تعتصمَ بها

فربما كانت سببًا للنجاة:

أولها: المراقبة:

والمراقبة تدفع عن الإيمان كلَّ نقيصة، وتمحو عنه كلَّ نقيصة، وتبلغ بالمرء الأغراضَ القلبيَّة وتَرُدُّ عن صاحبها الآفات، وتقضي له الحاجات وتَسْتخلص له كلَّ نافع ومفيد، وهذه الصفة- المراقبة- يَتعبُ من يتصدَّى لغايتها، ويتعنَّى من يسمو إلى نهايتها؛ فالمنصف معترفٌ بالغلبة لأن النَّقص في الناس فاش، والعجز لهم شامل.

ثانيها: المحاسبة والمعاتبة:

العتابُ داعيةُ الاجتناب، ومبدأُ إصلاح القلب وتهذيب اللباب، فمن عاتبَ نفسَه وحاسبَها تَركَ الذنوبَ واجتنَبَها، وحفظَ حواسَّه وجوارحَه منها، وأما المحاسبةُ فهيَ داعيةُ القلَى(البغض) للمعاصي، وباعثُ الهِجْران لها، ورَسُولُ الفراق بين النَّفْس والذَّنْب، ورضيَ الله عن عُمَر بن الخطاب حينَ قالَ: حَاسِبُوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبُوا وزِنُوا أعمالَكم قبلَ أن توزنَ عليكم وتهيؤوا للعرض الأكبر على ربِّكم «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ». إن التجربةَ عند أهل المعرفة تقضي بأنَّ محاسبةَ النفس خيرُ دواءٍ للذنوب وأفضلُ علاج لحفظ الجوارح من الآثام، لكن إنما تنفعُ التجاربُ من كان عاقلاً كما أنَّ تركَ النفس بغير حساب ولا وقفة عتاب يجرُّ العبد إلى مهاوي ومغاوي لا قِبل له بها.

ومحاسبةُ النفس تكون بدوام التَّنْقير والبحث عن آفاتها وأسقامها وخوالجها وجواذبها.

ثالثها: خلوةٌ وعزلةٌ:

كان الأُنسُ بالنَّاس قديمًا أمرًا نافعًا، وعملاً شافعًا، فكان من يجتمع بالناس يستفيد خُلقًا ويَسهُل طبعُه، وينهل علمًا ويكثر نفعُه لما كان في الناس من خيرٍ وبرٍّ، ونقاءٍ وصفاءٍ ونفوسٍ قويمة وقلوبٍ مستقيمة، ثم انقلبَ الأمرُ إلى ضدِّه، واستحال إلى ندِّه؛ فكثرت النُّخالة، وأكل سوسُ الطِّباع دواخلَهم حتى صارتْ تعجبُك أجسامُهم وإن يقولوا تسمع لقولهم غير أنهم كجُلمود الصخر أو كخُشُب مسنَّدة لا يحسُّ أحدٌ بأحد، ولا يلوي أحدٌ على أحد.

فنعم العملُ الخلوة وأحبُّ المجالس إلى المؤمن أخْلاها، فمن أراد النجاةَ والمخلصَ من هذه الفتن المظْلمَة كقطع الليل فليجعلْ الخلوةَ موطنًا يرجع إليْه، وموئلاً يعتمدُ عليْه، وليخلُص من بليَّة الاختلاط نجيًّا؛ ليرتقيَ من النَّجاة مكانًا عليًّا، إنّ الخلوةَ مقدمةُ الهداية، والعُزلةَ طليعةُ الوصول إليها فاعتزلْ الناسَ قدرَ الإمكان، وتجنَّبْهم قبْلَ أن تُجَنِّبَكَ الخُلطة حظَّك من المعرفة بالله تعالى، وانتقلْ عن الناس قبْلَ أن يُنتقلَ بكَ عنهم بالموت ومفارقة الحياة، فإنه لا ينجو في هذا الزمان المُرِّ إلا من غلبتْ عليه العُزلةُ ولَزم الخلوةَ واستأنسَ بالله وعكفَ على رضا مولاه مخالفًا هواه، ولا قوة إلا بالله.

رُويدك جانبْ ركوبَ الهوى

فبئسَ المطيةُ للراكب

وحسبُك بالله من مؤنس

وحسبُك بالله من صاحب

وإن لم تجدْ بدًّا-وهو في العادة كائنٌ ومحقَّقٌ- فاقتصدْ في عدد الأصحاب قدْرَ ما تستطيع، وأقللْ من الأخدانَ والإخوان ما أمكنك، ولا تُكثر من معرفة الناس فإن الإكثارَ من المحبوبين مملولٌ فكيف بمَن دون ذلك من المكرُوهين؟! والاقتصادَ في المعروفين ممدوحٌ فكيف بالمجهولينَ؟!

تذكُّر الموت:

وهذا أمرٌ كل ما قبْلَه وما بعدَه تبعٌ له، فهو طليعةُ الرغْبَة في عمل الخير، ومقدمةُ حُبِّ أعمال البرِّ فتركُه يضرُّ ولا ينفعُ، وإهمالُه يحطُّ ولا يرفعُ.

وأنتَ تَرَى الموتَ في كل لحظة لا يفرِّقُ بين شابٍّ وشيخٍ ورجلٍ وامرأة كما قال أبو العتاهية:

فلا تنسَهُ ولا تَتَناساهُ ولا تُشغل عنه فإن من غَفَلَ عن الموت فسَدَ قلبُه واجترأ على المعَاصي، قال سعيدُ بن جبير: إذا غابَ ذكْرُ الموت عن قلْبي فسَدَ عليَّ.

فخُذْ بهذه النَّصائح واعملْ عمَلَ عبد هو مُلاقيه، ولا تكنْ ممن صمَّمَ وكابَر، وجاهَر بالمعاندة وظاهَر، وجِدَّ في أمرك ولا تتهاون فالجِدُّ علامةُ النَّجاح، والحزمُ أمارةُ الفلاح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال تعالى: « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٣٣).

حكم ومواعظ

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال لابنه: «يا بني إذا طلبت الغِنَى فاطلبه بالقناعة، فإنه من لم يكن له قناعة لم يُغْنِه مالٌ» (كنز العمال).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

لا أصل له باتفاق العلماء، وهو مما يستدل به القاديانية الضالة على بقاء النبوة بعده صلى الله عليه وسلم. (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني).

من معاني الأحاديث

الحديث: من أكل بمسلم أكلة؛ فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسِيَ برجل مسلم.. أي هو الرجل يكون صديقًا لأحد، ثم يذهب إلى عدوه، فيتكلم فيه بغير الجميل، ليجيزه بجائزة، فأطعمه ذلك العدو أكلة، أو كساه ثوبًا فلا يبارك له فيه، بل يعذب به. (صحيح الأدب المفرد للألباني).

من حكمة الشعر

اعمل وأنت من الدنيا على حذر ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... يحصى عليك، وما خلفت موروث

(العقد الفريد)

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أكَل بِمُسلم أكْلَةً فإنَّ الله يُطْعِمُهُ مثلَها من جَهَنَّم ومَن كُسِيَ بِرَجُلٍ مُسلم فإن الله عز وجل يكْسُوه من جهنَّم، ومَن قَام بِرَجُلٍ مُسلم مقامَ رياءٍ وسُمْعَةٍ فَإن الله يَقُوم به مقامَ رياءٍ وسُمْعَة يَومَ القِيَامَة» (رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٤٠ وصححه الألباني).

من أقوال السلف

عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا». (أي تعلموا العلم ما دمتم صغارًا قبل أن تصيروا سادة منظورا إليكم، فتستحيوا أن تتعلموه بعد الكبر فتبقوا جهالا) (كنز العمال).

من دلائل النبوة
الله يؤازر رسوله صلى الله عليه وسلم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحُد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد؛ يعني جبريل وميكائيل» (متفق عليه).

حكم تخصيص رجب بصيام وقيام

قال الحافظ ابن حجر: «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه مُعَيَّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة» (تبيين العجب

من فضائل الصحابة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ أهْلَ الدَّرجَاتِ الْعُلى، يَراهُمْ مَنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ كَما يُرى الْكَوْكَبُ الطَّالِعُ فِي الأفُقِ مِنْ آفَاقِ السَّماءِ، وَإنَّ أبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وأنْعَمَا» (سنن ابن ماجه ٩٦ وصححه الألباني).

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (١٠٠)

حجاب المرأة المسلمة (١٠)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما زال حديثنا متصلاً عن الحجاب، فتكلمنا عن آيات الحجاب، وانتقلنا إلى أحاديثه فذكرنا ثلاثة أحاديث:

١- حديث أمنا عائشة رضي الله عنها: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحرِمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم».

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين».

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار..».

ورأينا الاستدلال من الأحاديث الثلاثة، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

الحديث الرابع:

حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري» (صحيح مسلم وغيره).

الاستدلال من الأحاديث:

«اصرف بصرك»: أي لا تنظر مرة ثانية؛ لأن الأولى إذا لم تكن بالاختيار فهي معفوٌ عنها، فإن أدام النظر أثم، وعليه قوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم».

قال القاضي عياض: «فيه حُجَّة على أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها، وإنما ذلك سُنة مستحبة لها، ويجب على الرجال غضُّ البصر عنها، في جميع الأحوال إلا لغرض صحيح شرعي» (عون المعبود ١٣١/٦).

يقول الشيخ ابن عثيمين: «... نظر الفجأة هو الذي يفاجئ الإنسان، مثل أن تمر به امرأة مفاجأة، وتكون قد كشفت وجهها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اصرف بصرك» يعني أدره يمينًا أو شمالاً حتى لا تنظر، فيُستفاد من هذا الحديث تحريم نظر الرجل إلى المرأة، لكن إذا حصل هذا فجأة فإنه يُعفى عنه لأنه بغير اختيار من الإنسان...» (شرح رياض الصالحين ٣٦٣/٦).

قال الشيخ حمود التويجري: «.. فلو كن يكشفن وجوههن عند الرجال الأجانب لكان في صرف البصر عنهن مشقة عظيمة، لاسيما إذا كثرت النساء حول الرجل؛ لأنه إذا صرف بصره عن واحدة، فلابد أن ينظر إلى أخرى أو أكثر، وأما إذا كن يغطين وجوههن - كما يفيده ظاهر الحديث - فإنه لا يبقى على الناظر مشقة في صرف البصر؛ لأن ذلك إنما يكون بغتة في بعض الأحيان» (الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور ص٩٢).

قلت: الحديث فيه تحريم النظر إلى المرأة بعد نظرة الفجأة، وهى النظرة غير المتعمدة، وهو نهي عام عن النظر إلى المرأة فهو لا يقصر صرف البصر على الوجه

أو غيره، بل هو عام في صرف البصر عن النظر إلى المرأة، فهذا النظر يشمل النظر إلى وجهها، ويشمل النظر إلى جسدها وحجمها ومشيتها أو إلى أي شيء يتعلق بها مما يثيره، فتخصيصه بالنهي عن النظر إلى غير الوجه، أراه بعيدا، بل قد يُستدل به على كشف وجه المرأة، لأن البصر أول ما يقع عليه هو الوجه الذي يعبر عن جمال المرأة أو قبحها.

الحديث الخامس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال يرخين شبرًا، فقالت: إذا تنكشف أقدامهن؟ قال: «فيرخين ذراعًا لا يزدن عليه». (صحيح أبي داود وغيره).

الاستدلال من الحديث:

(استخدم بعض أهل العلم القياس - قياس الأولى - في استدلاله على وجوب تغطية الوجه، يقول الشيخ ابن عثيمين: «هذا الحديث دليل على وجوب ستر قدم المرأة، وأنه أمرٌ معلوم عند نساء الصحابة رضي الله عنهن، والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب، فالتنبيه بالأدنى تنبيهٌ على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم، وحكمة الشرع تأبى أن يجب ستر ما هو أقل فتنة، ويرخص في كشف ما هو أعظم منه فتنة، فإن هذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه». (ثلاث رسائل في الحجاب ص٣٣).

وكذلك قال الشيخ حمود التويجري: «وفي هذا الحديث دليل على أن المرأة كلها عورة في حق الرجال الأجانب، ولهذا لما رخص النبي صلى الله عليه وسلم للنساء في إرخاء ذيولهن شبرًا قلن له: إن شبرًا لا يستر من عورة، والعورة هنا القدم كما هو واضح من باقي الروايات عن ابن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم، وإذا كان الأمر هكذا في القدمين فكيف بما فوقها من سائر أجزاء البدن ولاسيما الوجه الذي هو مجمع محاسن المرأة». (الصارم المشهور ص ٩٦، ٩٧).

فائدة:

هناك رواية للحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذيول النساء: «يرخين شبرًا» فقالت عائشة رضي الله عنها: «إذن تخرج سوقهن، قال فذراع» (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

فمن قاس لم يَقِس على هذه الرواية، لأنه لو قاس الوجه على الساقين سيكون القياس ليس في قوة القياس على القدمين، للإجماع على أن سيقان المرأة عورة في الصلاة وخارجها، ولا شك أن إظهارها أكثر فتنة من إظهار القدمين؛ فهناك فارق بين القدمين والساقين، فالمرأة لو أظهرت سيقانها في الصلاة، بطلت صلاتها باتفاق، بينما لو أظهرت قدميها، فهناك من أهل العلم من قال بعدم بطلان صلاتها كالحنفية واختاره ابن تيمية. (انظر اختلاف الأئمة العلماء لابن هبيرة ١٠١/١، مجموع الفتاوى ١١٥/٢٢).

الحديث السادس:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها» (صحيح سنن الترمذي وغيره).

الاستدلال من الحديث:

هل يستدل من الحديث على وجوب تغطية وجه المرأة باعتبار أنه بعض من كل، وأن هذا الكل أن المرأة كلها عورة، أم هذا يستثنى منه الوجه والكفان؟ يقول الشيخ حمود التويجري: «وهذا الحديث دال على أن جميع أجزاء المرأة عورة في حق الرجال الأجانب، وسواء في ذلك وجهها وغيره من

أعضائها، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: ظفر المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها فلا تُبن منها شيئًا ولا خفها، فإن الخف يصف القدم، وأحب إلي أن تجعل لكمها ذرًا عند يدها حتى لا يبين منها شيء» (الصارم المشهور ص٩٦).

يقول ابن رشد: المسألة الثالثة: وهي حد العورة من المرأة، فأكثر العلماء على أن بدنها كله عورة ما خلا الوجه والكفين، وذهب أبو حنيفة إلى أن قدمها ليست بعورة، وذهب أبو بكر بن عبد الرحمن وأحمد إلى أن المرأة كلها عورة، وسبب الخلاف في ذلك احتمال قوله تعالى: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» (النور: ٣١)، هل هذا المستثنى المقصود منه أعضاء محدودة، أم إنما المقصود به ما لا يملك ظهوره؟ فمن ذهب إلى أن المقصود من ذلك ما لا يملك ظهوره عند الحركة، قال بدنها كله عورة حتى وجهها.. ومن رأى أن المقصود من ذلك ما جرت به العادة بأنه لا يُستر وهو الوجه والكفان، ذهب إلى أنهما ليسا بعورة، واحتج لذلك بأن المرأة ليست تستر وجهها في الحج». (انظر بداية المجتهد ١٢٣/١).

ملحوظة:

من يذهب إلى وجوب النقاب، يقول عن كلام ابن رشد السابق، وما يماثله أن هذا عن عورتها في الصلاة، وليس على العموم، والنقل السابق يوضح أن كلامه عن عورة المرأة على عمومه وليس عن الصلاة، وإلا لما نقل عن الإمام أحمد أن المرأة كلها عورة، لو كان الكلام عن عورتها في الصلاة».

يقول القاري عن الحديث: «المرأة عورة فإذا خرجت من خدرها استشرفها الشيطان: أي زينها في نظر الرجال، وقيل: أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها..». (انظر مرقاة المفاتيح ٥/ ٢٠٥٤).

ويقول المناوي عن الحديث (المرأة عورة): أي هي موصوفة بهذه الصفة، ومن هذه صفته فحقه أن يُسْتَر، والمعنى أنه يستقبح تبرزها وظهورها للرجل. وقال الطيبي:.... أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها، وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع؛ لأنها حبائله وأعظم فخوخه» (انظر فيض القدير ٢٦٦/٦).

وفي سبل السلام: «جعل المرأة نفسها عورة.. وقيل إنها ذات عورة» (انظر سبل السلام ٢٨٣/٤).

يقول ابن مفلح (الحنبلي): «هل يسوغ الإنكار على النساء الأجانب إذا كشفن وجوههن في الطريق؟ ينبني (أي الجواب) على أن المرأة هل يجب عليها ستر وجهها، أو يجب غض النظر عنها؟ في المسألة قولان: قال القاضي عياض عن حديث جرير (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري، قال العلماء رحمهم الله تعالى: وفي هذا حجة على أنه لا يجب على المرأة أن تستر وجهها في طريقها، وانما ذلك سنة مستحبة لها، ويجب على الرجل غضّ البصر عنها في جميع الأحوال إلا لغرض شرعي، ذكره الشيخ محيي الدين النووي ولم يزد عليه.

وقال الشيخ تقي الدين: وكشف النساء وجوههن بحيث يراهن الأجانب غير جائز، ولمن اختار هذا أن يقول: حديث جرير لا حجة فيه، لأنه إنما فيه وقوعه، ولا يلزم منه جوازه، فعلى هذا هل يشرع الإنكار؟ ينبني على الإنكار في مسائل الخلاف، وقد تقدم الخلاف فيه، فأما على قولنا وقول جماعة من الشافعية وغيرهم: أن النظر إلى الأجنبية جائز من غير شهوة ولا خلوة، فلا ينبغي الإنكار». (انظر الآداب الشرعية ٢٨٠/١).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في كتاب:

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد

أولاً: ترجمة المصنف

الحلقة الثانية

إعداد: الشيخ محمد عبد العزيز

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا» (الكهف: ١ - ٢).

والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهذا هو المقال الثاني عن كتاب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام الحافظ المجتهد المدقق: تقي الدين ابن دقيق العيد- رحمه الله تعالى-، وهو من هو منزلة عند أهل العلم، وشروحه للسنة من أدق وأمتع ما كتب عن فقه الحديث، قال الحافظ ابن حجر في كتابه الممتع: رفع الإصر عن قضاة مصر (ص٣٩٥): «قال الحافظ قطب الدين شيخ شيوخنا في حقه: قيل إنه لم يتكلم على الحديث من عهد الصحابة إلى زماننا مثل ابن دقيق العيد».

وكنت قد تناولت في المقال الأول كتاب: عمدة الأحكام في معالم الحلال والحرام، عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، مما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

للإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي- رحمه الله تعالى- (المتوفى:٦٠٠ هـ)، وهو الأصل المشروح بكتاب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

وسوف ينتظم هذا المقال في قسمين رئيسين:

الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن دقيق العيد- رحمه الله تعالى-.

الآخر: نظرات في كتابه: الإحكام، وهو المطلب الرئيس في هذا المقال.

أولاً: ترجمة ابن دقيق العيد:

اسمه: محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة، القشيري، المنفلوطي، المالكي، الشافعي، المصري.

ويكنى: بأبي الفتح.

ويلقب: بـ: تقي الدين.

واشتهر: بـ: ابن دقيق العيد، وهو لقبه الذي عرف به حتى لا يكاد يعرف بغيره.

ودقيق العيد لقب لجد والده مطيع، وقيل: لجده وهب، وسبب ذلك أنه كان عليه يوم العيد طيلسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد، فلقب به. (انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٣٠٢/٢)، وفتح المغيث، للسخاوي (٢٢١/٤)).

مولده: وُلد رحمه الله تعالى بـ: ينبع من أرض الحجاز، ووالداه متوجهان للحج ضحى يوم السبت في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة: خمس وعشرين وستمائة

للهجرة (٦٢٥ هـ)، ثم أخذه والده على يده وطاف به بالكعبة وجعل يدعو الله أن يجعله عالمًا عاملاً. (طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي (٢٠٩/٩)).

نشأته:

نشأ رحمه الله تعالى في بيت دين وعلم فوالده أبو الحسن علي شيخ الصعيد في المذهب المالكي، وقد أخذ عنه المذهب المالكي، وجده لأمه تقي الدين مظفر بن عبد الله الملقب بـ: المقترح.

وقد أخذ كما سبق المذهب المالكي عن والده، وأخذ المذهب الشافعي عن بهاء الدين هبة الله القفطي، وهو تلميذ والده، ثم رحل إلى القاهرة فأخذ عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، قال ابن السبكي في طبقاته (٢١٠/٩): «تفقه بقوص على والده، وكان والده مالكي المذهب، ثم تفقه على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فحقق المذهبين».

تألهه وعبادته:

قال التاج السبكي (٢١١/٩): «وأما دأبه في الليل علمًا وعبادة فأمر عجاب:

- ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين.

- وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر، استمع له بعض أصحابه ليلة، وهو يقرأ فوصل إلى قوله: « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » (المؤمنون: ١٠١)، قال فما زال يكررها إلى طلوع الفجر.

- وكان يقول ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلاً إلا وأعددت له جوابًا بين يدي الله عز وجل.

- وكان يخاطب عامة الناس السلطان فمن دونه بقوله: يا إنسان، وإن كان المخاطب فقيهًا كبيرًا قال: يا فقيه، وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة ونحوه، وكان يقول للشيخ علاء الدين الباجي: يا إمام ويخصه بها».

من آثار ابن دقيق العيد

العلمية:

ترك الإمام ابن دقيق العيد تراثًا علميًا حافلاً أثرى به المكتبة العلمية، ففي مؤلفاته من النظر والتدقيق ما ليس في غيرها وإن فاقتها حجمًا، قال الأدفوي: «وفي تصانيفه من الفروع الغريبة والوجوه والأقاويل ما ليس في كثير من المبسوطات، ولا يعرفه كثير من النقلة». (الطالع السعيد (ص ٥٨١)).

وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية (٢٠٨/٩): «وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب بلب يسحر الألباب وفكر يستفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب مستعينًا على ذلك بما رواه من العلوم مستبينًا ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم مبرزًا في العلوم النقلية والعقلية والمسالك الأثرية والمدارك النظرية».

من مصنفاته:

١- الإمام في معرفة أحاديث الأحكام، وهو مرتب على الأبواب، وهو يصل إلى عشرين مجلدة، وقد بيض بعضه، وعدم أكثره، قال الحافظ ابن حجر في رفع الإصر (ص ٣٩٥): «والموجود منه قطعة نحو الربع، لكنها مفرقة، وأكثرها في ربع العبادات وليس فيها شيء من الاستنباط وإنما يذكر علل الحديث كثيرًا».

٢- الإلمام بأحاديث الأحكام، وهو مستمد من الإمام، وقد طبع طبعتين إحداهما بتحقيق صاحبنا الشيخ: حسين الجمل، الناشر: دار المعراج الدولية.

٣- شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، الذي وجد منه قطعة، فقيل: لم يتم، وقيل: أتمه المصنف ثم أعدمه بعض حساده حنقًا عليه، قال ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (٢٣١/٢): «قال الإسنوي: وقد كان أكمله فحسده عليه بعض كبار هذا الشأن ممن

في نفسه منه عداوة فدس من سرق أكثر هذه الأجزاء وأعدمها، وبقي منها الموجود عند الناس اليوم وهو نحو أربعة أجزاء فلا حول ولا قوة إلا بالله». وفي رفع الإصر للحافظ ابن حجر حكايتان مشابهتان لما ذكره ابن قاضي شهبة، فالله أعلم.

وقد طبع الجزء الموجود منه بتحقيق: محمد خلوف آل عبد الله، الناشر: دار النوادر، وكانت قد طبعت دار أطلس جزء منه بتحقيق: عبد العزيز السعيد، وأصله رسالة ماجستير، والقطعة الموجودة من الكتاب تدل على علم جمٍّ كيف لا وهو إمام من أئمة الدنيا المعدودين في معرفة فقه الحديث والغوص عن معانيه.

ومن أراد معرفة ذلك فعليه بالنظر في القطعة التي شرح فيها الإلمام، فإن من جملة ما فيها أنه أورد حديث البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع واشتمل على أربعمائة فائدة».

٤- شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه المالكي، وهو شرح لم يتمه وصل فيه إلى كتاب الحج، وقد ذكره أكثر من ترجم له، وقد نقل ابن السبكي مقدمة الكتاب في ترجمة المصنف، وفيها من الفوائد الكثير الذي يدل إنصاف هذا الإمام وعدله فمن ذلك قوله: «ولو ذهبنا نترك كل كتاب وقع فيه غلط، أو فرط من مصنفه سهو أو سقط، لضاق علينا المجال، وقصر السجال وجحدنا فضائل الرجال، وفاتتنا فوائد تكاثر عديد الحصا، وفقدنا عوائد هي أجدى علينا من تفاريق العصا.

ولقد نفع الله الأمة بكتب طارت كل المطار وجازت أجواز الفلوات وأثباج البحار، وما فيها إلا ما وقع فيه عيب، وعرف منه غلط بغير شك ولا ريب، ولم يجعله الناس سببًا لرفضها وهجرها، ولا توقفوا عن الاستضاءة بأنوار الهداية من أفق فجرها». (طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٣٦)).

- ومن مصنفاته التي أملاها كتاب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، وهو الكتاب الذي قصدنا أن نتكلم عليه، وسيأتي عنه الحديث.

أقوال أهل العلم فيه، ووفاته:

أظن أنه قد آن أوان وضع القلم في ترجمة هذا الإمام المعدود من مجددي الملة على رأس المائة السابعة، قال ابن السبكي في طبقات الشافعية (٩/٢٠٩): «ولم ندرك أحدًا من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي صلى الله وسلم على قائله، وأنه أستاذ زمانه علمًا ودينًا».

وقال فيه ابن كثير في طبقات الشافعيين (ص ٩٢٥): «أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكبرهم علمًا ودينًا وورعًا تقشفًا ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم».

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ (ص ٥١٦): «الإمام الفقيه، الحافظ المحدث، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام».

وقال ابن الزملكاني: «إمام الأئمة في فنه، وعلامة العلماء في عصره، بل ولم يكن من قبله سنين مثله في العلم والدين والزهد والورع، تفرد في علوم كثيرة، وكان يعرف التفسير، والحديث، ويحقق المذهبين تحقيقًا عظيمًا، ويعرف الأصلين، والنحو، واللغة، وإليه المنتهى في التحقيق والتدقيق والغوص على المعاني، أقر له الموافق والمخالف وعظمته الملوك». (البدر الطالع، للشوكاني (٢/٢٣٠)).

توفي رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وسبعمائة للهجرة، وله من العمر سبعة وسبعون عامًا.

هذا ما يسره الله تعالى في تلك المقالة، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى نستكمل فيه الحديث عن كتاب الإحكام.



ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء

إعداد المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن أن الله تعالى قد قسم المواريث بين عباده بنفسه، ولم يتركها لأحد من البشر أن يقسمها من عند نفسه، فجاء نظام المواريث على أكمل وجه، وأعدله، وأمر الله عباده بطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، فمن عباده، من أطاعه، ومنهم من أبى، ومن هؤلاء الذين يظلمون المرأة، فيمنعونها من ميراثها، أو يفضلونها على باقي الورثة، وقد عمَّ هذا البلاء وطمَّ في طول البلاد وعرضها، مما يستلزم بيان الحكم الشرعي فيه، وهو ما سنكمل الحديث حوله في هذا العدد:

سادسا: تفضيل النساء على الرجال:

وقد يحدث اعطاء للمرأة نصيب أكبر من الرجل، وقد يستمد هذا التفضيل أصله من الشرع وهذا مرده لاسباب معقولة المعنى، أو ينبني على الجهل بالحكم، أو إتباع الهوى، وذلك كالآتي:

١- التفضيل المبنى على نصوص الشرع:

وقد سبق الاشارة اليه قبل ذلك.

٢- التفضيل المبنى على الجهل بالحكم:

كثير من الأمهات يوصين بذهبهن الذي يمتلكنه لبناتهن دون أبنائهن بزعم أن الذهب محرم على الرجال، ولا تلبسه إلا النساء، فتوصى الواحدة منهن قبل وفاتها لبناتها، دون أبنائها، ولا تدرى هذه المسكينة، أن هذا الفعل لا يجوز، ويحرم عليها فعله، وهو من باب تفضيل النساء على الرجال في الإرث المخالف للشرع، وذلك للآتي:

أولا: لأنه وصية لوارث؛ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فعن أبى أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ يقولُ في خطبته عامَ حجَّةِ الوداعِ: «إنَّ اللَّه تبارَك وتعالى قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ فلا وصيَّةَ لوارثٍ» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

ثانيا: لأنه قد يكون وصية بأكثر من الثلث: فقد لا يكون للمرأة مال تتركه لورثتها سوى ذهبها، فإذا أوصت به كله لبناتها، فقد خالفت الحد المسموح به بالوصية، وهو ثلث التركة فقط، فعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: «كان رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يَعودُني عامَ حجَّةِ الوَداعِ، من وجعٍ اشتدَّ بي، فقلتُ: إني قد بلَغ بي منَ الوَجعِ، وأنا ذو مالٍ، ولا يَرِثُني إلا ابنةٌ، أفأتصدَّقُ بثُلثَي مالي؟ قال: لا. قلتُ: بالشَّطرِ؟ فقال: لا. ثُمَّ قال: الثُّلثُ، والثُّلثُ كَبيرٌ، أو كثيرٌ إنَّك إن تَذَرْ وَرَثتَكَ أغنياءَ، خيرٌ من أن تَذَرَهُم عالةً يَتكفَّفونَ النَّاسَ» (رواه البخاري).

٣- التفضيل المبنى على اتباع الهوى:

وصورته كما في المثال السابق ولكن يكون بدافع اتباع الهوي وليس لعدم العلم بالحكم.

سابعا: الحلول العملية لهذه النازلة:

يكمن الحل لهذه النازلة التي عمت البلاد، في الآتي:

١- نشر التوعية بين المسلمين بخطورة حرمان النساء من الإرث، أو تفضيلهن على الرجال؛ وأن هذا من تعدى حدود الله التي بينها في آيات المواريث.

قال ابن كثير - رحمه الله - في " تفسيره « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ" » (النساء: ١٣- ١٤)

أي: هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه، هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تجاوزوها، ولهذا قال: (ومن يطع الله ورسوله) أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضا بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) أي، لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه. وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حاف في وصيته، فيختم بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ". قال: ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم (تلك حدود الله) إلى قوله: (عذاب مهين).

٢- السعي إلى استصدار قانون يجرم هذا الفعل: ويشدد العقوبة على حرمان النساء من الإرث، أو تفضيل النساء على الرجال في الإرث بالهوى، لما ثبت عن عمر، وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالا: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

وقد نشر موقع مصراوي " على الشبكة العنكبوتية " بتاريخ الثلاثاء ٠٥ ديسمبر ٢٠١٧ مقالة بعنوان " النواب يوافق نهائيًا على تعديل قانون المواريث " جاء بها: «وافق مجلس النواب، نهائيا على مشروع القانون المقدم من الحكومة بتعديل بعض أحكام القانون ٧٧ لسنة ١٩٤٣ بشأن المواريث في مجموعه. جاء ذلك خلال الجلسة العامة للبرلمان، اليوم الثلاثاء برئاسة الدكتور علي عبد العال. ويتضمن مشروع القانون إضافة باب تاسع بعنوان " العقوبات " للقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣، يتضمن مادة جديدة برقم ٤٩ تحدد عقوبات من يمتنع عن تسليم الميراث للورثة. وتنص التعديلات على: " يضاف للقانون ٧٧ لسنة ١٩٤٣ بشأن المواريث باب تاسع بعنوان العقوبات، يتضمن مادة جديدة برقم ٤٩، تنص على أنه «مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد ينص عليها قانون آخر، يُعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وغرامة لا تقل عن عشرين ألف جنيه، ولا تجاوز مائة ألف جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من امتنع عمدًا عن تسليم أحد الورثة نصيبه الشرعي من الميراث رضاء أو قضاء نهائيا».

وتضيف المادة: «يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ٣ أشهر وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من حجب سندًا يؤكد نصيبًا للوارث، أو امتنع عن تسليم ذلك السند حال طلبه من أي من الورثة الشرعيين أو أي جهة مختصة». كما تضمنت المادة أنه «في حالة العودة لأي من الأفعال السابقة تكون العقوبة الحبس الذي لا تقل مدته عن سنة، وللمجني عليه أو وكيله الخاص أو لورثته أو وكيلهم الخاص، إثبات الصلح مع المتهم أمام النيابة العامة أو المحكمة بحسب الأحوال، وذلك في الجنح المنصوص عليها في هذه المادة، ويجوز للمتهم أو وكيله الخاص إثبات الصلح المشار إليه في الفقرة السابقة».

وبحسب المادة: «يجوز الصلح في أية حالة كانت عليها الدعوى، وبعد صيرورة الحكم باتا، ويترتب على الصلح انقضاء الدعوى الجنائية، ولو كانت مرفوعة بطريق الادعاء المباشر، وتأمر النيابة العامة بوقف تنفيذ العقوبة إذا حصل الصلح أثناء تنفيذها، ولا أثر للصلح على حقوق المضرور من الجريمة» ا.هـ.

٣- العمل على معالجة الأسباب التي تؤدى إلى حرمان النساء من الإرث، كما سبق ذكرها.

والحمد لله رب العالمين.

باب القراءات القرآنية

تراجم أئمة القراءات

الحلقة الخامسة

الإمام الكسائي

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام الكسائي:

هو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمَن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، وهو فارسي الأصل من تابعي التابعين، واشتهر بالكسائي؛ وذلك لأنه أحرم في كساء، وقيل: لأنه كان يتشح بكساء ويجلس في حلقة حمزة فيقول: "اعرضوا على صاحب الكساء".

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

وأما عليٌّ فالكسائي نعته
لما كان في الإحرام فيه تسربلا

وُلد في حدود العشرين ومائة.

قرأ القرآن وجوَّده على حمزة الزيات أربع مرات، وقرأ على عيسى بن عمر الهمداني، وزائدة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي حيوة شريح بن يزيد الحضرمي.

وقرأ عليه: أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وخلق سواهم.

سمع الحديث من جعفر بن محمد، والأعمش، وزائدة، وسليمان بن أرقم.

وحدث عنه: يحيى الفراء، ومحمد بن المغيرة، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم.

قال الكسائي: أدركت أشياخ أهل الكوفة: أبان بن تغلب، وابن أبي ليلى، وحجاج بن أرطاة، وعيسى بن عمر، وحمزة.

ورحل إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وخرج إلى البوادي في طلب لغات العرب، وانتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو عبيد: "كان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم نجالس أحدًا أضبط ولا أقوم بها منه".

وقال يحيى بن معين: "ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي".

وقال خلف بن هشام: "كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم".

وقال الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي".

وقال أبو بكر بن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور؛ كان أعلم الناس بالنحو، وأحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ".

وقال نصير بن يوسف: "كان إذا قرأ أو تكلم كأن مَلَكًا ينطق على فيه، وكان يجلس على منبر الكوفة، ويقرأ فتُضبَط المصاحف بقراءته، وتُؤخذ الألفاظ منه".

وعن الفراء قال: "قَالَ لي قوم: ما اختلافك

إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي فناظرته يومًا وزدت، فكأني كنت طائرًا أشرب من بحر".

وقال أبو المعافى-وكان من علماء القراءات-: "الكسائي القاضي على أهل زمانه".

وقال الإمام الذهبي: "في الكسائي تيه وحشمة، لما نال من الجاه والرئاسة بإقرائه الأمين ولد الرشيد، وتأديبه أيضًا للرشيد، فنال ما لم ينله أحد من الإكرام والأموال".

عن أبي عمر الدوري قال: "لم يغير الكسائي شيئًا من حاله مع السلطان إلا لباسه، قال: فرآه بعض علماء الكوفيين، وعليه جربانات (نوع من القمصان) عظام، فقال له: يا أبا الحسن ما هذا الزي؟ قال: "أدب من أدب السلطان لا يثلم دينًا، ولا يُدْخِل في بدعة، ولا يُخْرِج عَن سُنَّة".

من أخلاقه وأحواله:

قال الكسائي: "صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول (لعلهم يرجعون) فقلت: لعلهم يرجعين، فو الله ما اجترأ هارون أن يقول أخطأت، ولكنه لما سلم قال: أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين: قد يعثر الجواد، قال: أما هذا فنعم".

قال ابن الدورقي: "اجتمع الكسائي واليزيدي، عند الرشيد، فحضرت صلاة فقدموا الكسائي يصلي، فأرتج عليه قراءة (قل يا أيها الكافرون)، فقال اليزيدي: قراءة (قل يا أيها الكافرون) ترتج على قارئ الكوفة؟ قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي، فأرتج عليه في (الحمد)، فلما سلم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى
إن البلاء موكل بالمنطق

قال الفراء: لقيت الكسائي يومًا فرأيته كالباكي، قلتُ: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن الزلل. فقلت: يا أبا الحسن، مَن يعترض عليك، قل ما شئت فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده فقال: قطعه الله إذا إن قلت ما لا أعلم.

قصة طلبه للنحو:

قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على كبر؛ لأنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييتُ، قالوا له: تجالسنا وأنت تلحن؟ قال: كيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردت من التعب فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت، فأنف من ذلك وقام من فوره فسأل عمن يعلم النحو، فدل على معاذ الهراء فلزمه، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها، وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة؟ فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج، ورجع، وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرًا في الكتابة عَن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له همٌّ غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات، وقد جلس في موضعه يونس النحوي، فجرت بينهما مسائل أقرَّ له يونس فيها.

من تصانيفه:

(معاني القرآن)، كتاب: (القراءات)، كتاب: (العدد)، كتاب: (النوادر الكبير)، كتاب: (النوادر الأوسط)، كتاب: (النوادر الأصغر)، كتاب: في النحو، كتاب: (اختلافهم في العدد)، كتاب: (الهجاء)، كتاب: (مقطوع القرآن وموصوله)، كتاب: (المصادر)، كتاب: (الحروف)، كتاب: (الهاءات)، وقد ذكر الإمام الذهبي هذه التصانيف، ثم قال: وعامة هذه الكتب عدمت مع طول المدة.

ولكتابه: (معاني القرآن) قيمة علمية عظيمة؛ حتى قال أبو عمر الدوري: "قرأت هذا الكتاب " معاني الكسائي " في مسجد السَّواقين ببَغْدَادَ على أبي مسحل، وعلى الطوال، وعلى سلمة وجماعة، قَالَ: فقال أَبُو مسحل لو قرئ هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج من يقرؤه أن يقرأه".

وفاته : توفي بالري سنة ١٨٩ هـ.

وللحديث بقية إن شاء الله. نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

طرق علاج الانفعال الزائد

الحلقة الثانية

د. ياسر لحي عبد المنعم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

الطريقة الثالثة: العلاج السلوكي والمعرفي

ويكون ذلك بإحدى الطرق الآتية:

هو تعويد النفس على الاستجابة والخضوع للحق، وتذكُّر النماذج الحليمة الصابرة المتواضعة، وإقناع النفس بما يقتضيه العقل والمنطق، ومعرفة المخاطر الصحية لكثرة الغضب، ومناقشة الأفكار غير المنطقية وتصحيحها.

أ- تغيير الهيئة:

أو الوضعية أو الجلسة التي هو عليها في جلسة أو وجهة، أو الانشغال عن الأعمال بمهنة، أو قراءة، أو لعب، أو القيام بتقسيم ورقة أجزاءً مُشعرًا نفسه أنه يمزق مشكلته، ويحلها في أجزاء الورقة وغير ذلك. فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» (أخرجه داود: ٤٧٨٢). قال ابن مفلح: (ويُستحب لمن غضب أن يغير حاله، فإن كان جالساً قام واضطجع، وإن كان قائماً مشى) (الآداب الشرعية - ابن مفلح ٢/٢٦١).

ب- المقابلة:

بمعنى مقابلة الغضب بناره وشدته وسطوته على الإنسان بالوضوء.

ج- السكوت:

أي قطع الكلام من الشتم والسب ونحوهما، فأشد ما يجره الغضب عند حدوثه هو الرغبة الشديدة في الكلام والتعدي على الآخرين. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علموا ويسروا ولا تعسروا وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت

فاسكت، وإذا غضبت فاسكت» (أخرجه أحمد ١/٢٨٣).

قال ابن رجب عن السكوت: (وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب؛ لأنَّ الغَضبان يصدر منه في حال غضبه من القول والسب ما يعظم ضَرَرُه وما يندم عليه في حال زوال غضبه، فإذا سكت زال هذا الشرُّ كلُّه عنه، وما أحسنَ قولَ مورقٍ العجلي رحمه الله: ما امتلأتُ غيظاً قَطُّ، ولا تكلَّمتُ في غضبٍ قطُّ بما أندمُ عليه إذا رضيتُ). (جامع العلوم والحكم - ابن رجب - ٣٦٦).

الطريقة الرابعة: الاستعاذة

أي التلفظ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فهو مصدر الغضب.

قال تعالى: « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (الأعراف: ٢٠٠) عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد» فقالوا له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعوَّذ بالله من الشيطان» فقال: وهل بي جنون؟!. (أخرجه البخاري: ٣١٠٨).

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى- «وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة، وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته». (التبيان في أقسام القرآن ٢٦٥).

ولوضع صورة في العقل والعمل على برمجتها؛ فإن هذا الشيطان الخبيث يسعد وينفث في روعنا وأنفسنا أن انهض وانتقم، ولكي يُصرَف يذكر العبد ربه فيخنس الشيطان الرجيم.

وعليه أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الغضب والانتقام، مثل أن يكون سبب غضبه أن يقول له الشيطان: إن هذا قد يُحمل منك على العجز، والذلة والمهانة، وصغر النفس، فتصير حقيرًا في أعين الناس. فليقل لنفسه حينئذ: تأنفين من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك! وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى والملائكة والنبيين!

فيذكر الله تعالى، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه، ثم إلى الطاعة، ثم إلى الأدب، ثم يستغفر الله تعالى فيزول الغضب، قال الله تعالى: «وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ » (الكهف: ٢٤) قال عكرمة: يعني إذا غضبت، وقال الله تعالى: « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ » (فصلت: ٣٦) ومعنى قوله: ينزغنَّك: أي يغضبنَّك.

أن يذكر حب الله للحليم وحب الناس له إن لم يغضب، فيرغب في تأليفهم وثنائهم عليه، فعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج، أشج عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» (التبيان في أقسام القرآن ٢٦٥). هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

باب الأسرة

أسباب الطلاق والتفكك الأُسَري

سابعًا: انحراف الأزواج «أحدهما أو كلاهما»

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية؛ ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وكذلك مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: "وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا" (النساء/ ١٣٠). ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهَد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب السادس من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري، ونكمل إن شاء الله فنقول:

من أسباب وقوع الطلاق:

سابعًا: انحراف الأزواج؛ أحدهما أو كلاهما

والحديث هنا الآن عن انحراف الرجل وخيانته لزوجته، بوقوعه في علاقات محرمة مع نساء أخريات.

وقد ذم الله سبحانه الزنا فقال: « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (الإسراء: ٣٢).

وجاءت الأحاديث المتكاثرة بالتنفير منه لخطورته على الأسر والمجتمعات.

الحديث الأول: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟، قال: " أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك"، فقال له: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟، قال: " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"، قال: ثم أي؟، قال: " أن تزاني حليلة جارك"، فأنزل الله عز وجل تصديقها: «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانا" (الفرقان: ٦٨-٧٠).

وقد يقع الزنا من الرجل مع امرأة غاب زوجها في حج أو في عمل صالح أو في جهاد في سبيل الله، فتكون حرمته أشد.

فعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيقال: يا فلان، هذا فلان قد خانك في أهلك، فخذ من حسناته ما شئت، ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما ظنكم؟، ترون يدع له من حسناته شيئًا؟" (رواه النسائي ٣١٩١، وصححه الألباني).

وقد يقع الزنا بين الجيران على أنهم يعرفون سر الخروج والدخول لبعضهم البعض، والمعصية إذن ميسرة، والشبهة قريبة أن تكون منفية، ولا يستغني جار عن جاره، فمن خان هذا الجوار كانت مصيبته كالسيل الجرار.

فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " ما تقولون في الزنا؟ "، فقالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: " لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره "، ثم قال: " ما تقولون في السرقة؟ "، قالوا: حرمها الله ورسوله، فهي حرام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-:" لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من (بيت) جاره ". (مسند أحمد ٢٣٩٠٥، وحسنه الأرناءوط).

وكثيرًا ما يقع الزنا من رجال كبار قد شاخوا وشاخت نساؤهم، فيطيِّر عقله البنت الشابة فيبدأ يعبث، ووراءها يلهث. فعاقبته وخيمة، وناره أليمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر".

والويل لمجتمع مثل هذا إذا شاع فيه ذلك وانتشر، وهو عرضة لكل عقاب وخطر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل ". (مسند أحمد ٣٨٠٩، وحسنه الألباني).

وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: " لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب ".(مسند أحمد ٢٦٨٧٣، وحسنه الألباني).

وللأسف قد تكون الزوجة سببًا مباشرًا في انحراف بعلها وتعلقه بغيرها:

فالأول: جهل الزوجة بالأسلوب الذي يجب أن تتعامل به مع زوجها لتحصينه من الطمع في امرأة أخرى، وكذلك انشغالها كثيرًا بتربية الأبناء ومتعلقاتهم، وعدم انتباهها لتلبية احتياجات زوجها العاطفية؛ كل هذا يدفع الزوج إلى الاستزادة والاستفادة من كل فرصة تتاح له عياذًا بالله.

ثانيًا: اطلاع الزوجين أحدهما أو كلاهما على الإنترنت والمواقع الإباحية، ويعتبر إدمان الإنترنت أحد أسباب انحراف الزوجين واللجوء إلى العلاقات غير السوية خارج إطار الزوجية.

ثالثًا: الانحراف الناتج عن الاختلاط الكثير والدائم، في أماكن العمل وخروج المرأة ومزاحمتها الرجل في العمل ولا عمل غير تحصيل الشر، وهدم الأسر. وتبادل أرقام الهواتف.

رابعًا: رفقة السوء:

أصدقاء الزوج أشد العوامل خطورةً على استقرار الحياة الزوجية، خاصة إذا كانوا هم أيضًا يحملون فيروسات الانحراف وتلوث الفطرة، وذلك إذا كانت شخصية الزوج ضعيفةً أمام أصدقائه، أو كان من النوع الذي يحب دائماً تقليد الآخرين.

وقد يتباهى الزوج أحيانًا بمثل هذه العلاقات المشبوهة، وقد ذم الشرع أمثال هذه العينات الرخيصة الرقيعة وهي تحكي شذوذها، وتعلن نفوذها.

عَنْ سَالِم بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ ". صحيح

البخاري ح ٦٠٦٩.

انحراف الزوجة:

إن انحراف الزوجة وهي في عصمة رجل وقعت فيه بعض النساء لأسباب كثيرة منها:

١- إطالة الزوج سفره بعيدًا عن امرأته سعيًا وراء المال.

٢- جلوس الرجل على المقاهي وارتياد النوادي بعدما ارتاح بنوم من عمله اليومي، ثم جاء آخر السهرة وقد سطله التدخين، وأنهك بدنه خلطاء السوء، وأصحاب الأخلاق الرديئة، فكيف تستفيد زوجته منه؟ بل سريعًا ستجد أصابعها بلمسات يسيرة ترى على الإنترنت وتتعرف وتتواصل وتتواعد، وهي تسمع كلامًا حانيًا وعبارات رقيقة قد افتقدتها عند الزوج الصنم، وكلاهما رضي بما فرض الشيطان عليه.

وربما ساهم بخل الزوج في تسهيل ارتياد زوجته هذا السبيل المتدثر بأنواع من الإغراءات، التي تملأ في حياتها فراغات.

ولكن هذا لا يدوم إلا لفترة بسيطة وبعدها ستشعر كل من سلكت هذا الطريق بأنها رخيصة واستغلت بكل غباء من قبل رجل يعتبر ما مر به نزوة لفترة أتت وانتهت.

وفي الغالب تنكشف العلاقات، وتظهر العورات، وتبدو السوءات، وتدق أجراس الطلاق، المنذر بالفراق، المر المذاق. كل هذا بسبب إهمال الزوج للزوجة مما يجعلها تشعر بالنقص، وأن النساء الأخريات أحسن منها بكثير ولم يعد مرغوباً بها.

ثامنًا: العكوف في محراب الأفلام والمشاهد الخليعة:

أما أثرها على الجانب الأسري فحدث ولا حرج عن ضمور العلاقة بين الزوج وبين زوجته وعن زهده فيها، وزهدها فيه فكم وكم دعت تلك المسلسلات إلى الخيانة الزوجية وكم علمت فتيات وأزواج الوقوع في الرذيلة والخنا.

فكم من حالة شقاق وخلاف، وكم من حالة طلاق وفراق، وكم من حالة خيانة ورذيلة، سببها تلك المسلسلات الداعية إلى ذلك والتي تربي من يشاهدها على التمرد والعناد الأسري.

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله سبحانه أن يبارك لنا في أزواجنا ويصلح لنا أبناءنا، إنه جواد كريم.

تهنئة واجبة

يسعد أسرة مجلة التوحيد أن تتقدم بأخلص التهاني للأخ الحبيب/ أحمد صلاح عبد الخالق رضوان؛ لحصوله على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية، قسم الدراسات الإسلامية، تخصص العقيدة والمذاهب، وكانت الرسالة بعنوان: «تعقيبات الإمام الذهبي على الآراء الكلامية جمعًا ودراسة»، والتي نوقشت بمقر الجامعة يوم الأحد الموافق ١١ مارس ٢٠١٨م.

وتكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كل من:

١- الأستاذ الدكتور/ خالد عبد العال أحمد، أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، «مشرفًا ورئيسًا».

٢- الأستاذ الدكتور/ أحمد منصور سبالك، أستاذ الشريعة ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية، «عضوًا مناقشًا».

٣- الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طه نور، أستاذ العقيدة المشارك بجامعة المدينة العالمية، «عضوًا مناقشًا».

وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه بتقدير عام ممتاز، مع التوصية بالطبع.

وأسرة تحرير المجلة والعاملون بها واللجنة العلمية يتقدمون بأخلص التهاني للأخ الحبيب، سائلين الله عز وجل له مزيدًا من التوفيق.

قصة الألف أُمة التي خلقها الله واغتمام عمر رضي الله عنه

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص والمفسرين، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وكذلك في كتب التفسير بالمأثور، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إنَّ من أسباب البحث في هذه القصة «قصة الألف أمة التي خلقها الله واغتمام عمر رضي الله عنه» هو وجودها في كثير من كتب السنة الأصلية، كما سنبين ذلك من التخريج.

٢- وجود هذه القصة في كُتب التفاسير المشهورة، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أ- «تفسير الواحدي» (٤٠١/٢) (ح٣٦٣) المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري المتوفى ٤٦٨هـ- ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

ب- «تفسير السمعاني» (٢٠٨/٢) المسمى «تفسير القرآن» لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي المتوفى ٤٨٩هـ- ط دار الوطن بالرياض.

جـ- «تفسير القرطبي» (٢٣٤/٤) المسمى «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ- ط. دار الحديث بالقاهرة.

د- «تفسير ابن كثير» (٢٤/١) المسمى «تفسير القرآن العظيم» لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ- ط البابي الحلبي.

وأورده الحافظ ابن كثير مرة أخرى في «تفسيره» (١٣١/٢)، ثم أورده مرة ثالثة في «تفسيره» (٤٢١/٢).

هـ- «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٣/١) لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ.

٣- ولقد تبين من الاستقرار: أن بعض المفسرين يذكر حديث القصة مرة واحدة في تفسيره، ومنهم من يذكره مرتين، ومنهم من يذكره ثلاث مرات، حيث إن مواضع ذكر القصة يدور حول ثلاث آيات من القرآن:

الأولى: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾» (الفاتحة: ٢).

الثانية: «﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾» (الأنعام: ٣٨).

الثالثة: «﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾» (الأعراف: ١٣٣).

٤- ولقد تبين أيضًا: أن من المفسرين من يروي الحديث الذي جاءت به القصة بسنده عن شيخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كالواحدي في تفسيره «الوسيط»، وهنا يصح أن نقول: أخرجه الواحدي في تفسيره.

٥- ولقد تبين أيضًا: أن من المفسرين من يعزو

الحديث الذي جاءت به القصة إلى كتب السنة الأصلية التي أخرجته، كقول الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢٤/١) قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في «مسنده» وكقول الإمام القرطبي في «تفسيره» (٢٣٤/٤) ذكره الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول».

وهنا لا يصح أن نقول أخرجه الحافظ ابن كثير في «تفسيره»، ولا يصح أن نقول: أخرجه القرطبي في «تفسيره» لأن كل واحد منهما عزا الحديث الذي جاءت به القصة إلى كتب السنة الأصلية، فلا نقول أخرجه ولكن نقول: أورده لأنه يعزو ولا يُعْزَى إليه، وهذا ما ننبه عليه طالب العلم وما يجب أن ينتبه إليه.

وكتب السنة الأصلية هي التي جمعها مؤلفوها من طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- من أجل ذلك كان لا بُدَّ من تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية والتي انتشرت في كتب السنة الأصلية والتفاسير، كما سنبين عارها وتكشف عوارها وعللها، حتى يستبين الطريق لمن يدعي تجديد الخطاب الديني، وليعلم أن تجديد الخطاب الديني ليس معناه أن يُدخل في الدين ما ليس منه، ولكن تجديد الخطاب الديني تنقي الدين من الدخيل عليه.

٧- وهذا أحد أهداف هذه السلسلة «سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية»، حيث إن من أهدافها تنقية السيرة من المكذوب والموضوع والمنكر.

ومن أهدافها أيضًا تنقية العقيدة من الواهيات، كذلك العبادات والمعاملات، وكذلك تنقية التفاسير من الدخيل، من الواهيات والأباطيل وأثرها السيئ في الأمة، فتصفو لها السنة.

والى القارئ الكريم بيان متن هذه القصة التي ذُكرت في التفاسير المذكورة آنفًا، وزد عليها ما جاء في كتب السنة الأصلية، كما سنبين من التخريج:

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتمّ لذلك، فأرسل راكبًا إلى اليمن، وراكبًا إلى الشام، وراكبًا إلى العراق يسأل هل رُئِيَ من الجراد شيء أم لا؟ فأتاه الراكب الذي من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كبر ثلاثًا، ثم قال سمعت رسول الله يقول: خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر، فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد؛ فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قُطع سلكه». اهـ.

ثانيا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية:

١- أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى المتوفى (٣٠٧هـ) في «المسند الكبير»، كما في «المطالب العالية» (٦٥٩/١٠) (ح٢٣٧٥) قال: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد، حدثنا محمد بن عيسى بن كيسان، حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: «قل الجراد ....» القصة.

٢- تنبيه: قد يبحث طالب العلم عن هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة في مسند أبي يعلى المطبوع فلم يجده، فيظن أن الحافظ أبا يعلى لم يخرجه في المسند، ولم يَدْرِ أن لمسند أبي يعلى روايتين:

الأولى: رواية ابن حمدان الحيري عن أبي يعلى، وهي الرواية المختصرة، وتسمى «المسند الصغير»، وهو المطبوع الذي وصل إلينا.

الثانية: رواية أبي بكر محمد بن إبراهيم المقرئ، وهي الرواية المطولة وتسمى «المسند الكبير».

ولما كان أكثر من نقل هذه القصة عزاها لأبي يعلى، وبالبحث تبين أن الحديث جاءت به هذه القصة في «مسند أبي يعلى الكبير»، وهي الرواية التي اعتمد عليها الحافظ ابن حجر والبوصيري في تخريج زوائدها على الكتب الستة.

٣- ولكي نقف على سند أبي يعلى في «المسند الكبير» وجدنا الحديث أورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٥٦٩/١٠) (ح٢٣٧٥) وقال أبو يعلى: حدثنا ابن المثنى.. الحديث، وكذلك وجدنا الحديث الذي جاءت به القصة أورده البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٣٠٦/٥) (ح٤٧٢٨)- ط دار الوطن بالرياض من

«المسند الكبير» لأبي يعلى، ذاكرًا سنده.

٤- تنبيه: يجب أن يفرِّق طالب العلم بين البوصيري صاحب «إتحاف الخيرة المهرة»، وبين البوصيري صاحب «البردة».

فالأول هو الحافظ البوصيري، قال ابن العماد في «شذرات الذهب» (٢٢٣/٧): البوصيري هو شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قيماز بن عثمان بن عمر البوصيري وُلد في المحرم (٧٦٢هـ)، وسكن القاهرة ولازم العراقي على كبر فسمع منه الكثير، ولازم ابن حجر فكتب عنه «لسان الميزان» و«النكت»، والكثير من التصانيف وعمل «إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة»، وتوفي سنة ٨٤٠هـ.

أما البوصيري صاحب قصيدة البردة فهو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصهناجي البوصيري مصري النشأة ليس من أهل الحديث بل عدُّوه من الشعراء المتصوفة، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٩٦هـ)، ولازم أبا العباس المرسي تلميذ الشاذلي. كذا في «شذرات الذهب» (٤٣٢/٥).

٥- وأخرجه الإمام الحافظ أبو الشيخ المتوفى (٣٦٩هـ) في «العظمة» (ح١٣٠٨) قال: أخبرنا إسحاق بن أحمد الفارسي، حدثنا محمد بن أبان البلخي وعبد الله بن عمر قالا: حدثنا عبيد بن واقد به.

٦- وأخرجه الإمام الحافظ ابن حبان المتوفى (٣٥٤هـ) في «المجروحين» (٢٥٦/٢) قال: أخبرنا أبو يعلى به.

٧- وأخرجه الحافظ الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري المتوفى (٣١٠) في «الكنى والأسماء» (٧١٢/٢) (ح١٢٥٠) قال: حدثنا محمد بن المثنى به.

٨- وأخرجه أبو عمرو الداني المتوفى (٤٤٤هـ) في «السنن الواردة في الفتن» (٩٨٥/٥) (ح٥٢٧)- ط العاصمة في الرياض- قال: حدثنا أحمد بن بدر القاضي، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا محمد بن هشام حدثنا عبيد بن واقد القيسي به.

٩- وأخرجه الحافظ نعيم بن حماد المتوفى (٢٢٩) في «الفتن» (ح٦٥٠) قال: حدثنا عبيد بن واقد القيسي به.

١٠- وأخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي المتوفى (٣٦٥) في «الكامل» (٣٥٢/٥) (١٥١١/٥٤٣) قال: حدثنا الحسين بن محمد بن داود مأمون، حدثنا محمد بن هشام بن أبي خيرة، حدثنا عبيد بن واقد القيسي به.

١١- وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٤٥/٦) (١٧٢٢/١٠١) قال: حدثنا حسين بن محمد بن داود مأمون به.

١٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى (٤٥٨هـ) في «الشُّعب» (٣٣٣/١٤) (ح٩٦٦١) قال: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، حدثنا الحسين بن محمد بن داود به.

١٣- وأخرجه أيضًا أبو أحمد بن عدي في «الكامل» (٢٤٥/٦) قال: «أخبرنا زكريا بن يحيى الساجي سمعت محمد بن المثنى به».

١٤- وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٣٤/١٤) (ح٩٦٦٢) من طريق ابن عدي هذا فقال: أخبرنا أبو سعد، أخبرنا أبو أحمد، أخبرنا زكريا الساجي به.

١٥- وأخرجه الحافظ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣هـ) في «تاريخ بغداد» (٢١٧/١١) قال: أخبرنا أبو سعد الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسنويه الكاتب- بأصبهان- حدثنا أحمد بن جعفر بن أحمد السمسار، حدثنا أبو الحسين عمر بن أحمد السني البغدادي، حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري حدثنا عبيد بن واقد به.

١٦- وأخرجه الإمام أبو الفرج بن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) في «الموضوعات» (١٣/٣) قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت به.

١٧- وأخرجه أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى (٣٢٠هـ) في «نوادر الأصول» (٧٠/٣) (ح٥٧٢)- ط. دار النوادر.

حدثنا داود بن حماد القيسي، حدثنا يحيى بن حماد البصري، قال: حدثنا عبيد بن واقد.

١٨- وأخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند

الفردوس» (ح١٥٣٢- الغرائب الملتقطة) قال: قال أخبرنا الحسين بن عبد الملك، أخبرنا إبراهيم بن منصور، حدثنا ابن المقرئ حدثنا أبو يعلى به.

١٩- وأورده الحافظ الهيثمي المتوفى (٨٠٧هـ) في «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي» (٤٣٠/٤) (ح١٨٧٥)- دار الكتب العلمية ببيروت.

رابعًا: التحقيق:

١- نستنتج من هذا التخريج وجمع طرق الحديث أن هذا الحديث الذي جاءت به «قصة الألف أمة التي خلقها الله واغتمام عمر رضي الله عنه» حديث غريب؛ لم يَرْوِ هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه إلا جابر ولا عن جابر رضي الله إلا محمد بن المنكدر، ولا عن ابن المنكدر إلا محمد بن عيسى بن كيسان، ولا عن محمد بن عيسى إلا عبيد بن واقد.

٢- لذلك قال الحافظ ابن كثير في «مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب» (٥٨٠/٢): «هذا حديث غريب».

٣- وإثبات الغرابة وبيان العلة لا يتأتى إلا بجمع الطرق حتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصناعة الحديثية فيدعي أن هناك طرقًا للقصة، كذلك إثبات الغرابة ينفي المتابعات والشواهد.

٤- لذلك قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٧٢/١١٤/٤): «روى محمد بن عيسى العبدي عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قصة الجراد، وكل هذا لا يتابع عليها، هذا وقد روى محمد بن عيسى عن ابن المنكدر عن ثابت عن أنس أيضًا ما لا يتابع عليه». اهـ.

٥- وهذا ما بيَّنه الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٥٠٣/٢) قال: «ولما اشتهرت رواية ابن المنكدر عن جابر، ورواية ثابت عن أنس صار كل ضعيف وسيئ الحفظ إذا روى حديثًا عن ابن المنكدر يجعله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن رواه عن ثابت جعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم». اهـ.

٦- قول الحافظ ابن رجب: «كل ضعيف إذا روى حديثًا عن ابن المنكدر يجعله عن جابر». هذا القول ينطبق تمام الانطباق على الراوي محمد بن عيسى، فقد روى حديث القصة عن ابن المنكدر، فعلة القصة محمد بن عيسى وهو في أشد درجات الضعف.

٧- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٦/٢): «محمد بن عيسى بن كيسان: كنيته أبو يحيى يقال له العبدي شيخ يروي عن محمد بن المنكدر العجائب، وعن الأثبات الأوابد، لا يجوز الاحتجاج بخبره، ثم قال: أخبرنا أبو يعلى- وهو شيخ ابن حبان- فروى حديث القصة عن شيخه كما في «المسند الكبير»، ثم قال: «وهذا شيء لا شك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

٨- قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحريم روايته مع العلم بوضعه.

٩- لذلك قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٠٤/١/١): «محمد بن عيسى العبدي عن ابن المنكدر عن جابر: منكر الحديث»، كذلك أخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير».

١٠- قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين؛ ففي الميزان للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

١١- كذلك قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٨/١/٤): «سئل أبو زرعة عن محمد بن عيسى العبدي فقال: ضعيف الحديث لا ينبغي أن يحدث عنه حدث عن محمد بن المنكدر بأحاديث مناكير، وأمر أن يضرب على حديثه ولم يقرأ علينا حديثه». اهـ.

١٢- وعلة أخرى عبيد بن واقد قال ابن عدي في «الكامل» (٣٥٢/٥) (١٥١١/٤٣): «وعبيد بن واقد: عامة ما يرويه لا يتابع عليه». اهـ. وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/١/٣): «سألت أبي عنه فقال ضعيف».

قلتُ: من هذا يتبين أن القصة واهية والحديث الذي جاءت فيه موضوع، بل من العجائب كما بينا، هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٤٤)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

جماهير أئمة أهل السنة في القرن الخامس الهجري، على إثبات استوائه تعالى على عرشه، وفق نهج النبي عليه السلام وخير القرون.. خلافا لمن أبوا إلا اتباع الجهم والمعتزلة والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى نحو ما تضافرت أقوال أئمة السنة في القرن الخامس وما سبقه لرد عادية الجهمية في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، تضافرت أقوالهم في القرن السادس لصد ذات الهجمة التي تهدف لتعطيل نصوص صفات الله وانتهاك حرماتها، بأنواع من التحريفات والتأويلات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونذكر منهم:

أ- طرفاً من نصوص أعلام القرن السادس في إثبات صفة الاستواء وسوقهم الإجماع عليه

١- أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥)، فمن غير ما ذكرناه له في الحلقة (٣٥) وفي كتابنا (سيراً على خطا الأشعري أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه)، يقول -رحمه الله- في (إحياء علوم الدين) (كتاب قواعد العقائد) ١/١٥٤:

"إنه تعالى مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بُعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات على العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربُه قربَ الأجسام، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، لا يحل في شيء ولا يحل شيء فيه، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يَحدَّه زمان، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، بائن من خلقه بصفاته، مقدس عن التغيير والانتقال، لا تَحِله الحوادث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئي الذات بالأبصار، نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم".

بل لقد تميز الغزالي بالشدة في ذم علم الكلام، ونص على ذلك صراحة في الإحياء ١/١٦٧، فبعد ذكره تحريم الشافعي وأحمد ومالك وسفيان وصاحبي أبي حنيفة وجميع أهل الحديث لعلم الكلام، طفق يقول مبيناً خطره:

"أمّا مضرَّته: فإثارةُ الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك ممّا يحصل في الابتداء، ورجوعُها بالدليل

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص، ومن أضـراره: تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتدُّ حرصُهم على الإصرار عليه بواسطة التعصُّب الذي يثور من الجدل".

إلى أن قال: "وأمَّا منفعتُه: فقد يُظنُّ أنَّ فائدَتَه كشفُ الحقائق ومعرفتُها على ما هي عليه، وهيهات؛ فليس في الكلام وفاءٌ بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعتَه من محدِّث أو حشوي ربَّما خطر ببالك أنَّ الناسَ أعداءُ ما جهلوا، فاسمَع هذا ممَّن خَبِر الكلامَ ثم قلاه بعد حقيقة الخِبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمُّق في علوم أخر تناسبُ نوع الكلام، وتُحقق أنَّ الطريقَ إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفكُّ الكلام عن كشف وتعريفٍ وإيضاح لبعض الأمـور، ولكن على الندور في أمور جَليَّة تكاد تفهم قبل التعمُّق في صَنعة الكلام".

وقد نقل شارحُ الطحاوية كلامه هذا ص١٤٤ وعقَّب يقول: "وكلامُ مثله في ذلك حجَّة بالغة".. ونقله كذلك ابنُ الوزير اليماني (ت٨٤٠) في كتابه (الروض الباسم) ١٢/٢ وعقَّب يقول: "فهذه نصوص الغزالي الذي قيل فيه: (لم تر العيون قبله ولا بعده أزكى منه)".. كما ذكره د.العبَّاد في مقدمته لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ص٣٣ تحت عنوان: (متكلمون يذمون علم الكلام ويُظهرون الحيرة والندم)، وقدم له بقوله: "فأبو حامد الغزالي من المتمكنين في علم الكلام، ومع ذلك فقد جاء عنه المبالغة في ذمه، ولا ينبئك مثل خبير".

على أن الإمام الغزالي لم يكتف بذم الكلام وأهله، ولا كان كلامه فيه اقتصارًا على ردِّ كلام أبي إسحاق الإسفراييني الذي ذهب إلى إيقاف صحة إيمان كل أحد على: معرفة الأدلة من علم الكلام، حتى جعل يُبدِّع طريقتهم في ذكر السلوب، ويَعدُّ التأويل تعطيلاً ويُؤصِّل لما رجع إليه، فكان أن ألف في أواخر حياته رسالة بعنوان: (فيصل التفرقة بين الايمان والزندقة)، وكتاب: (إلجام العوام عن علم الكلام) الذي تابع فيه شيخه أبا المعالي الجويني، وفيهما الكثير مما ذكرناه في كتابنا السالف الذكر، بشأن الرضوخ إلى الحق وإيثار طريق السلف في قضية الصفات.

٢- الإمـام البغويّ محيي السنة (ت٥١٦)، قـال في تفسير: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) (المجادلة/٧): "أي: ما من سرار ثلاثة إلا هو رابعهم بالعلم"، فأثبت علوه سبحانه.. كما قال في تفسير: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف/٥٤) مثبتاً استواءه: "أوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش: صفة الله (بلا كيف)، يجب على الرجل أن يؤمنَ بذلك ويَكِلَ العلم فيه إلى الله"، ثم حكا قول مالك: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول)، وقـال: "ورُوي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث وسفيان بن عيينة وابن المبارك وغيرهم من علماء السنة في الآيات التي جاءت في الصفات: (أمروها كما جاءت بلا كيف)".

وعلى ذلك علق ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٧٧ بقوله: "ومراد السلف بقولهم (بلا كيف)، هو: نفي للتأويل فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يُثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير:

أ- نفي الحقيقة.

ب - وإثبات التكييف بالتأويل.

جـ - وتعطيل الرب عن صفاته التي أثبتها لنفسه.

وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله لنفسه ويقول: كيفيته كذا كذا، حتى يكون قول السلف (بلا كيف) رداً عليه، وإنما ردُّوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل، تحريف اللفظ وتعطيل معناه".

٣- والعلامةَ أبو الحسن الكرجي من كبار الشافعية (ت٥٣٢)، قال في قصيدته التي زادت عن المائتي بيت:

عقيدة أصحاب الحديث قد سمت
بأرباب دين الله أسنى المراتب
عقائدهم أن الإله بذاته
على عرشه مع علمه بالغوائب
وأن استواء الرب يُعقل كونه
ويُجهل فيه الكيفُ جهلَ الشهارب

وقد وجد على هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة ابن الصلاح: (هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث)"، كذا ذكره الذهبي ونص عليه في العلو ص١٩١، ١٧٢، والشهارب جمع شهرب وهو العجوز الكبير.

ب- الأصبهاني يتوسع في الكلام عن الاستواء ويرد شبهات المتأولة:

٤- وقوَّام السنة الإمام الحافظ إسماعيل بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ)، فقد أكثر في الكلام عن الاستواء في كتابه الجليل (الحجة في بيان المحجة)، وذكر ١/٢٦٦ فيما يجب اعتقاده: "أن لله عرشاً، وهو على العرش، وعلمه محيط بكل مكان، ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.. والعرش فوق السماء السابعة، والله على العرش.. وللعرش حمَلةٌ يحملونه على ما شاء الله من غير تكييف، والاستواء معلوم والكيف مجهول".

وتحت ما عقده ٢/٨١ بعنوان: (باب في بيان استواء الله على العرش)، أدرج بعض آي التنزيل، وبعدها ساق قول أهل السنة: "الله فوق السماوات لا يعلوه خلق من خلقه، ومن الدليل على ذلك: أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم، ويدعونه ويرفعون إليه أبصارهم، ومن الدليل على ذلك الآيات التي فيها إنزال الوحي".

وأعقب ذلك بفصل في (بيان أن العرش فوق السماوات وأن الله فوق العرش)، وساق بعد أن ذكر ما ذكر من الأدلة، قول يحيى بن عمار: "كل مسلم من أول العصر إلى عصرنا هذا، إذا دعا الله رفع يديه إلى السماء، والمسلمون في عهد النبي إلى يومنا هذا يقولون في الصلاة ما أمرهم الله به في قوله: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى/١).. ولا حاجة لله إلى العرش، لكن المؤمنين كانوا محتاجين إلى معرفة ربهم، وكل من عبد شيئاً أشار إلى موضع أو ذَكر من معبوده علامة، فخالقنا إنما خلق عرشه ليقول عبدُه المؤمن إذا سأل عن ربه أين هو؟: (الرحمن على العرش استوى)، فهو فوق كل محدَث، على عرشه العظيم ولا كيفية ولا شَبَهَ كما قال مالك.. ولا نحتاج في هذا الباب إلى قول أكثر من هذا: أن نؤمن به وننفي الكيفية عنه وننفي الشك فيه، ونقول: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء"ا.هـ.

ثم تطرق الأصبهاني إلى معاني الاستواء قائلاً (٢/١١٢): "قال علماء أهل السنة: إن الله على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان، وقالت الأشعرية: الاستواء عائد على العرش.. وقال بعضهم: (استوى) بمعنى: (استولى)".

وقال في ردِّ ما فاه به الأشعرية: "لو كان كما قالوا، لما كانت القراءة بخفض العرش.. ثم إن الاستيلاء لا يوصف به إلا من قَدَر على الشيء بعد العجز عنه، والله لم يزل قادرًا على الأشياء ومستوليًا عليها، ألا ترى أنه لا يوصف (بِشْر) بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك".

واستطرد في رد دعاوى المتكلمة يقول: "وزعم هؤلاء أن معنى: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (طه/٥) أي: (مُلكه)، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأماكن، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.. قال أهل السنة: خلق الله السماوات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلقهما، وليس معناه المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.. وزعموا أن ذلك بمعنى: (علو الغلبة) لا (علو الذات)، وعند المسلمين أن لله العلو من سائر الوجوه، لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله (علو الذات) و(علو الصفات) و(علو القهر والغلبة)، وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله

من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حُجة، ولم يستجز أحد منهم الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق"، وساق في ذلك الآيات والأحاديث.

وفي حكاية سلف الأمة وأصحاب الحديث في الاستواء عقد الأصبهاني فصلاً (٢/٢٧٣)، جاء فيه ما نصه: "قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) (طه/٥) واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة"، ثم جعل يقول -بعد أن عدد معاني الاستواء، وأوضح أن جانب المتشابه فيما تعلق منها به سبحانه: إنما يقتصر على الكيف خلافاً لما عُلم معناه كما جاء في عبارة مالك-: "قال أهل السنة: صفات المخلوقين معلومة كيفيتها، واستواء الله على العرش غير معلوم كيفيته، لأن المخلوق لا يَعلم كيفية صفات الخالق لأنه غيب، ولا يَعلم الغيب إلا الله، ولأن الخالق إذا لم يشبه ذاته ذات المخلوق، لم يشبه صفاته صفات المخلوق، فثبت أن الاستواء معلوم، والعلم بكيفيته موكول إلى الله.. وكذلك فيما يضارع هذه الصفات".

كما جعل يؤكد في (الحجة) (٢/٢٨٦)، أن من سمات أهل السنة: "الإيمان بأن الله على عرشه استوى كما شاء، وعلمه بكل مكان لا يخفى عليه شيء"، وفي ضرورة وأهمية أن يُنحّى العقل في مثل هذه الأمور وألا يُقدَّم على الشرع، تابع يقول: "ومن صفة أهل السنة: الأخذ بكتاب الله وبأحاديث رسول الله وترك الرأي والابتداع".

ومما فاه به الأصبهاني على لسان أهل السنة، قوله (٢/٤٦٢) في وصف حال المتأولة: "قال أهل السنة: لا نرى أحداً مال إلى هوى أو بدعة، إلا وجدته متحيراً، ميت القلب، ممنوعاً من النطق بالحق، وقالوا: الكلام في الرب بدعة، لأنه لا يجوز أن يُتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن وما بينه رسوله عليه السلام، وهو الأوَّل بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، يعلم السرَّ وأخفى، وعلى العرش استوى، علمه بكل مكان، قد أحاط بكل شيء علماً، (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) (الشورى/١١)، لا يقال في صفاته (كيف؟) و(لمَ؟)".

وقال في سمات أهل البدع والضلال (٢/٥٤٠): "إذا رأيت الرجل يسمي أهل الحديث حشوية أو مشبهة أو ناصبة، فاعلم أنه مبتدع، وإذا رأيت الرجل ينفي صفات الله أو يُشبّهها بصفات المخلوقين فاعلم أنه ضال.. قال علماء أهل السنة: (ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نَزع حلاوة الحديث من قلبه)".

جـ- وعلى درب الغزالي والبغوي والأصبهاني سار أئمة الهدى من أعلام القرن:

٥- وممن أثبت الاستواء من أئمة القرن السادس: شيخ بغداد وسيد الوعاظ عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ)، قال في كتاب (الغُنية) ص٧١- ٧٤: "وهو مستو على العرش، محتو على المُلك، محيطٌ علمه بالأشياء (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ) (فاطر: ١٠)، (يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة: ٥).. لا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥).. وينبغي إطلاق ذلك الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى: (القعود والمماسة) كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى: (الرفعة) كما قالت الأشعرية، ولا على معنى: (الاستيلاء والغلبة) كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يَرِدْ بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق.. وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف".. والحق أن الكلام في ذلك يطول، لكن حسبنا منه ما ذكرنا..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.

والحمد لله رب العالمين.

التحذير من الابتداع في الدين والرد على شبهات المخالفين

إعداد / معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم...

وبعد: فإن مما يتميز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم من فرق الضلال أن لديهم منهجًا علميًا منضبطًا يتعاملون على أساسه، ويحكمون على من خالفهم وفق أصوله وميزانه، ويردون علم ما جهلوا إلى عالمه، وبذلك يحصل لهم رضى الله تعالى، الذي لا يضر معه سخط ساخط.

وأما أهل البدع والزيغ والانحراف، فإن من أظهر سماتهم أنهم يتكئون- في انحرافهم عن الصراط المستقيم- على المتشابه من القول، ويُلبسون الحق بالباطل، فيُفتَتَنون ويَفتِنون مَن أراد الله فتنته!

ومن ذلك تلبيسهم على الناس باستحسان البدع، حتى صارت عندهم أولى من الأخذ بالسنن الثابتة، فصاروا يتقربون إلى ربهم بما نهاهم عنه!

وصدق أيوب السختياني رحمه الله إذ يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا، إلا ازداد من الله بُعدًا! (البدع لابن وضاح (٦٧)).

ويكفي البدعة شؤمًا ومهانة أنها على دين لم يأذن به الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وسلم، ولم يعرفْها الصحابةُ، رضي الله عنهم، وهم قدوة المتقين!

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: كفى على قوم وزرا أن تخالف أعمالُهم أعمالَ أصحاب نبيهم صلى الله عليه وسلم. (إعلام الموقعين (١٥١/٤)).

أولاً: تعريف البدعة:

هي ما أُحدث على غير مثال سابق، وهي على قسمين:

(١) الأول: ما لا علاقة له بالدين، فهذه بدعة من جهة اللغة، كالمخترعات الحديثة من سيارات وطائرات وغير ذلك مما ظهر في هذه الأزمان، ولم يكن معروفًا من قبل.

والأصل في هذه البدع أنها مباحة، ما لم يتعارض منها شيء مع نص من نصوص الشريعة، فتأخذ حكمه وقتئذ.

(٢) الثاني: ما له علاقة بالدين، وهو ما يُراد منه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لكنه لم يوجد في العهد النبوي، مع وجود المقتضي لفعله ولم يُفعل، ولم يكن ثمة مانع من فعله.

(أ) أما وجود المقتضي، فهو أن تتوفر دواعي الفعل، لكنه لم يُفعل، مثل ترك الأذان لصلاة العيد، وقد توفر الداعي لذلك، وهو دعوة الناس لهذه الصلاة كما يُدعون للصلوات الجامعة الأخرى... فلما لم يأمر صلى الله عليه وسلم بالأذان، ولم يُفعل... دلَّ ذلك على أن الأذان لصلاة العيد بدعة محدثة.

وأما مسألة جمع القرآن- مثلا- فلم يوجد الداعي إلى جمعه في العهد النبوي؛ لأن الوحي مستمر في تنزيل القرآن، وإنما وجد في عهد أبي بكر رضي الله عنه عندما قُتل جمعٌ من سادات الصحابة وقراء القرآن في

معركة اليمامة، فخاف المُلهَم عمر رضي الله عنه أن يضيع شيءٌ من القرآن، فأشار إلى أبي بكر بجمعه في مصحف واحد، ففعل، فكانت حسنة من حسناته رضي الله عنه.

(ب) وأما انتفاء المانع، فهو أن يتوفر الداعي للفعل، لكن يمنع منه مانع ما، مثل اتخاذ مكبرات الصوت واسطة يُنقل فيها صوت المؤذن إلى أهل البلد، فقد كانت الحاجة لذلك موجودة، لكن منع منها عدم وجود تلك المكبرات في ذلك العهد.

وكذلك مثل مسألة اجتماع الناس في صلاة التراويح على إمام في المسجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي التراويح بالناس ثم ترك ذلك لمانع، وهو خشية أن تفرض عليهم هذه الصلاة، فتَشق على بعض المسلمين... فلما انقطع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم، تنبه الفاروق رضي الله عنه إلى أن المانع من عدم الاجتماع للصلاة قدْ زال، فأمر أبيًّ بأن يَؤمَّ الناس، فكان جمعهم هذا إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتبين من ذلك أن ما توفر الداعي لفعله في العهد النبوي، ولم يوجد مانع من الفعل، ثم لم يُفعل، فإن عدم الفعل هو السنة، وفعله هو البدعة والضلالة...

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن تركه صلى الله عليه وسلم سنة، كما أن فعله سنة. (إعلام الموقعين (٢/٣٩٠))

ثانيا: التحذير من البدع:

وقد جاءت الشريعة بالتحذير من البدع والزجر عنها، مع بيان فسادها، وعدم انتفاع صاحبها منها.

أما الزجر عنها ففي مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». (صحيح سنن النسائي (١٥٧٧))

وأما فساد هذه (العبادة) وردها، ففي مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. (صحيح مسلم (١٧١٨))

وهذه البدع كلها مذمومة شرعًا، باطل التعبد بها... لا يخرج عنها بدعة من البدع المحدثة، وإن حسُن قصد فاعلها، أو ظنها حسنة... فليس في دين الإسلام بدعة حسنة!

قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة! (السنة للمروزي (٦٨))

وقال الحافظ ابن رجب-رحمه الله- عند حديث: (كل بدعة ضلالة): من جَوامع الكلم، لا يَخرجُ عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين. (جامع العلوم والحكم (١/٢٦٦))

ثالثا: أقسام البدع:

وقد قسم أهل العلم البدعة في الدين إلى قسمين:

(١) البدع الحقيقية: وهي ما لا دليل عليها في الشرع، كمن يحدث عبادة من غير نص شرعي، فيستحب أو يوجب ما لم يستحبه ولا يوجبه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذه عبادات لم تأت من عند الله، فلا يحبها الله، ولا يرضاها، ولا يُثيب عليها...

وقد جاء عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: بينا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يخطُب، إذا هو برجل قائم، فسَأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نَذَر أن يَقومَ ولا يَقعُدَ، ولا يَستَظلَّ، ولا يَتكلَّمَ، ويَصومَ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مُرُوه فليتكلَّم وليستظلَّ وليَقعُد، وليُتمَّ صَومَه». (صحيح البخاري (٦٧٠٤))

فانظر كيف نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن التقرب إلى الله بما لم يأت فيه نص من الشرع، ولم يقره على فعله، ولم يعتبر

حُسن نيته، وإنما أقره على ما كان مشروعًا، وهو الصوم.

ومن هذه البدع أيضًا: بدعة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالرهبانية وترك التزوج مع وجود الداعي إليه وفقد المانع الشرعي تمامًا، ومن ذلك ما يفعله الشيعة الروافض يوم عاشوراء من ضرب الصدور، ولطم الخدود، وشج الرؤوس بالسيوف، وإراقة الدماء، والنواح والعويل، حزنا على الحسين رضي الله عنه زعموا!!

(٢) البدع الإضافية: وهي ما ثبت أصلها في الشرع، لكن الإحداث طرأ على تفاصيل أداء هذه العبادة، من الزمان والمكان والكيفية.. مثل كون محبة النبي صلى الله عليه وسلم (كما هو معلوم) ثابتة في الشرع، بل هي ركنه الذي لا يصح إيمان العبد إلا به... إلا أن ترجمة هذه المحبة على غير مراد الشرع يكون مذموماً غير محبوب، كمن يحتفل في يوم مولده بالغناء والرقص والأناشيد..!

ومن أمثلة ذلك أيضا: الذكر أدبار الصلوات أو في أي وقت على هيئة الاجتماع بصوت واحد، أو يدعو الإمام والناس يؤمنون أدبار الصلوات، فالذكر مشروع ولكن أداءه على هذه الكيفية غير مشروع، وبدعة مخالفة للسنة، ومن ذلك تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام وليله بالقيام.

رابعاً: ليس في الإسلام بدعة حسنة:

يستدل البعض بالحديث الصحيح: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء... (صحيح مسلم (١٠١٧)).

ويقولون: إن هذا الحديث يدل على أن في الإسلام بدعة حسنة!

والجواب باختصار من وجوه:

الوجه الأول: ليس في الإسلام بدعة حسنة، بل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل بدعة ضلالة. (صحيح سنن ابن ماجه (٤٢)).

و(كل) من ألفاظ العموم والشمول كما هو معروف.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يُصدِّر عامة خطبه (وليس أمامه مبتدع قط) بقوله: «إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الكلية الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله: « كل بدعة ضلالة » بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل » (الاقتضاء: ٢/ ٥٨٢).

الوجه الثاني: أنه لا يوجد قائل بالبدعة الحسنة من أهل القرون المفضلة (الصحابة فمن بعدهم)، وقد قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام. (سير أعلام النبلاء ١١/٢٩٦).

الوجه الثالث: أن الصحابة والتابعين كانوا أبعد الناس عن هذا الفهم المعوج للحديث، وقد قال الشاطبي: يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي: مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل. (الموافقات (٣/٢٨٩)).

فتجد ابن مسعود - مثلا - أنكر بشدة على أناس يجلسون في بيت من بيوت الله، يكبرون ويحمدون ويهللون، إلا أنهم اتخذوا الحصى ليعدوا بها أذكارهم (كحال أهل «حلقات الذكر البدعي»: اليوم)، فقال لهم رضي الله عنه: عُدُّوا سيئاتكم فأنا ضَامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، وَيحَكُم يا أمة محمد ما أسرع هَلَكَتَكُم! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبل،

وآنيته لم تُكسَر.. والذي نفسي بيده! إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مُفتَتِحُو باب ضلالة. (السلسلة الصحيحة (١١/٥)).

ولما رأى سعيد بن المسيب رجلا صلى بعد النداء من صلاة الصبح فأكثر الصلاة، حصبه ثم قال: إذا لم يكن أحدكم يعلم فليسأل، إنه لا صلاة بعد النداء إلا ركعتين! فقال الرجل: يا أبا محمد! أتخشى أن يعذبني الله بكثرة الصلاة؟ فقال: بل أخشى أن يعذبك الله بترك السنة. (الفقيه والمتفقه (١/٣٨١)).

الوجه الرابع: أن الله سبحانه وتعالى امتن على الأمة المحمدية بشريعة سمحة كاملة فقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة: ٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه. (السلسلة الصحيحة (٢٨٦٦)).

فاستحال شرعًا أن يتقرب أحد إلى الله بعبادة بذاتها لم يرد فيها نص من الكتاب والسنة، وقد أحسن الإمام مالك حين قال: فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا. (الاعتصام للشاطبي (١/٦٥)).

الوجه الخامس: إن فهم معنى السنة الحسنة في الحديث يكون بمعرفة سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لها، فمختصر قصة الحديث أنه جاء قوم من الأعراب حفاة عراة يشكون الفاقة، فظهر سوء حالهم في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فخطب الناس، وذكرهم بالله، وحثهم على الصدقة.. وكان مما قال: تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة.

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى وجد كومين من طعام وثياب. فصار وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مُذهبة، ثم قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها..» الحديث.

فهذا الأنصاري كان أول المتصدقين، وصدقته سبب تتابع الناس على الصدقة، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة... فقد سنَّ للناس ما هو موجود في الشرع، ولم يأت بشيء جديد وما سَنَّهُ كان السبق والمبادرة بالصدقة - المشروعة من قبل - حتي تتابع الناس بعده.

قال الألباني رحمه الله: «من سن في الإسلام سنة حسنة من سن لغة، وفتح طريقا إلى أمر مشروع بالكتاب والسنة أماته الناس مع الزمن، أو مع الغفلة.. فأحيا هذه السنة المنصوص عليها. (سلسلة الهدى والنور (شريط ٣٩٠)).

الوجه السادس: وفي الختام نقول لمُحَسِّن البدَع: إذا كان في الشريعة بحسب زعمك «بِدعة حسنة» فإننا نبتدع ترك «البدعة الحسنة» ونرى عدم جوازها وعدم العمل بها، لأن ذلك هو الأنفع لعاجلتنا وآجلتنا وأجمع لكلمتنا وأبعد عن الفُرقة والخلاف.

فإن كان قولنا هذا «صحيحًا» وعليه برهان فلا تجوز مخالفته، وإن لم يكن عليه برهان فهو «بدعة حسنة» وهو معمول بها عندكم، فالبدعة على جميع الفروض باطلة وهو ما نريده ولله الحمد.

وبذلك يتبين لنا مما سبق: أنه لا علاقة للحديث بالبدعة الحسنة، التي لا وجود لها في دين الإسلام، وأن هذا التقسيم ليس إلا «بدعة سيئة»، ليست من الإسلام في شيء، وإن ألصقت به.

فيا أهل الإسلام: استقيموا يرحمكم الله، واتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

والحمد لله رب العالمين.

إرشاد العمَّال إلى إصلاح الأعمال

إعداد د. أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، أما بعد:

فمن المعلوم من هدي سلفنا الصالح أن المرء في سيره إلى الله تعالى هو بين خوف ورجاء؛ بين خوف أن يحبط عمله، وتسوء خاتمته، ويكون من أصحاب النار، وبين رجاء أن يتقبل الله منه، وتحسن خاتمته، ويكون من أصحاب الجنة، ولذلك قالوا: الخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك في الكتاب السابق.

وحكمة الله تعالى القاضية أن العبد لا يدري بما يُختم له، ولا على أي شيء يموت!! ومن هنا اشتد خوف السلف من سوء الخاتمة، فمن أحدث قبل السلام بطلت صلاته، ومن أفطر قبل غروب الشمس ولو بلحظة فسد صيامه، ومن أساء في آخر عمره لقي الله بهذا الوجه، لأن الأعمال بالخواتيم.

ولذلك فطن السلف إلى أن أكثر الناس أمنًا لخاتمته أعظمهم غفلة عن الله، فأهل اليقظة دائمًا يخافون على أنفسهم سوء النهايات!! ومن مظاهر ذلك أنهم لا ينظرون إلى عبادتهم بعين الإعجاب والاستكثار، بل يذمون أنفسهم، ولا يرون لها حقًا، «يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» (المؤمنون:٦٠)، لأنهم يعلمون أن التوفيق للطاعة من فضل الله وحده، حالهم ومقالهم: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ» (الأعراف:٤٣).

فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم الناس دينًا وإيمانًا يقول: «إنني وأنا رسول الله، لا أدري ما يُفعل بي». (رواه البخاري).

وهذا عمر رضي الله عنه لما كان في النزع قال لابنه عبد الله: "يا بني ضع خدي على الأرض، لعل الله أن ينظر لي فيرحمني".

وهذه الصدِّيقة عائشة رضي الله عنها لما حضرتها الوفاة، قيل لها: ابن عباس بالباب يريد أن يدخل عليك، فقالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل لها: ابن عباس من صالح بنيك، فدخل عليها، فجعل يثني عليها، فأشاحت بوجهها عنه.وقالت: مالي ومالك يا ابن عباس!!

وهذا راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه الذي روى (٥٣٧٤) حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، لما حضرته الوفاة بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: بُعد المفازة، وقلة الزاد، وضعف اليقين، والعقبة الكؤود التي المهبط منها إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار. (اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات، عبد العزيز السلمان ص١٠٤٥).

وأبو هريرة ممن لازم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة الظل لصاحبه، !! أولئك والله قوم

شيد الله فخرهم، فما علاه فخر، وإن عظم الفخر.

ولذلك كان الحسن يقول: إن المؤمن جمع إحسانًا وخوفًا، والمنافق جمع إساءة وأمنًا.

وعليه كان الخوف من أجل منازل السالكين إلى الله، وأنفع دواء للقلب، ومن خاف الآخرة قاده الخوف إلى سلوك طريق الاستقامة، والمبادرة بالعمل خشية الفوات، فقد روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ». وفي صحيح ابن حبان بسند حسن عنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا، أخفته في الآخرة»، «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» (الأعراف:٩٩).

وأخوف ما ورد في هذا الشأن: ما رواه أحمد في مسنده من رواية حميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تعجبوا من عمل عامل حتى تنظروا إلى ما يُختم له به، فإن العبد ليعمل العمل الذي إن مات عليه دخل الجنة، فإذا به يعمل بعمل أهل النار فيدخل النار».

وعند مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: انظر إلى من قضى عمره في التقوى والطاعة، ثم عرضت له فتنة في الوقت الأخير، نطح مركبه الجرف، غرق في الوقت الأخير.

لكن هناك إشكال: كيف أفسّر هذه الأصول في ضوء قول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» (الكهف:٣٠).

جوابه فيما رواه البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ. قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

والسؤال الآن: ما الذي أحرق على العامل عمله، ونكسه، وأوكسه، وأضله؟

جوابه فيما رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير) عن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ».. قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلا تَحْقِرْ نَفْسَكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاس: ضُرِبَتْ مَثَلًا لعَمَلٍ. قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاس: لعَمَلٍ؟ قَالَ عُمَرُ لرَجُل غَنِيٍّ يَعْمَلُ بطَاعَة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ.

ومن الأمور المهلكات- أيضًا- التي تحرق عمل العامل: رؤية النفس، والإعجاب بها، ومشاهدة بلوغ الكمال منها، مما يدفعه عمله للحكم على الناس، والتحكم في مصائرهم!! معرضًا عن قوله تعالى: « لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ » (آل عمران:١٢٨). أوضح حديث في الباب: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي؛ أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

وكذلك ما رواه أبو يعلى في مسنده بإسناد جيد عن معاذ رضي الله عنه وروي من حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك، قلت: يا نبي الله، أيهما أولى بالشرك، المرمي أو الرامي؟ قال: بل الرامي».

فانظروا يا رحمكم الله كيف فعلت الأفكار الهدامة، وبراثن التكفير والمناهج الباطلة في عمل العامل، وكيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخارجين على الناس بالسيف بأنهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، مع شدة عبادتهم، وكثرة صلاتهم وصيامهم!! فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل.

وصية:

إن من تأمل مراحل ومنازل الآخرة، وما يمر به منذ خروج روحه، وحياته في عالم البرزخ إلى دار المستقر، إمَّا في الجنة أو في النَّار، لهيج الخوف قلبه، وتحركت جوارحه، واستقام عليه لسانه.

فأخطر شيء يقع المرء في شراكه: موت الفجأة، فهو كما جاء في الحديث: «أخذة آسف»: رواه أبو داود وأحمد من حديث عبيد بن خالد السلمي.

فاتقوا الله واحذروا مفاجأة ربكم، وإياكم أن يفاجئكم الموت على معصية، ولات حين مندم « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا » (الأنعام:١٥٨).

ثم اعلموا يا رحمكم الله أن سوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره، وصلح باطنه، وألزم نفسه الطاعة، واستمسك بالسبيل القويم، فهذا ما سمع به والحمد لله، وإنما الذي عناه السلف هو الحذر من فساد النية، ونسيان الإخلاص، والإصرار على الذنوب، وإقحام النفس في الكبائر، والإقدام على العظائم، فإنها ثلمة في القلب، تخون العبد أحوج ما يكون إليها عند الموت.

ولذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من أن يتخبطه الشيطان عند الموت، كما في سنن أبي داود من حديث أبي اليسر الأنصاري، كعب بن عمرو، فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم، فماذا يفعل العصاة الضعفاء أمثالنا!!.

والله المستعان.

الحلقة الأولى

الشائعات ومعاول هدم المجتمعات

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من الظواهر السيئة التي انتشرت في مجتمعنا وأصبحت تهدد قيمنا وحياتنا، تقطع أوصالنا وتلوث أخلاقنا وتأكل حسناتنا، ويزيد من نشر الأدواء والآفات فيما بيننا ظاهرة نشر الإشاعات والترويج لها والتي منها المعلومات الكاذبة والأخبار الزائفة وتناقل الأنباء المغلوطة الآثمة؛ لذا فقد حذر الشارع من هذه الظاهرة، وأرشد إلى معالجتها وتربية الناس على خلق تركها، ولعل من ذلك وأوضحه في كتاب الله عز وجل ما ورد في قصة حديث الإفك الذي اتهمت به الطيبة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، زوجة نبينا في الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (النور: ١١) إلى قوله تعالى: «لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (النور: ٢٦).

اتفق العلماء على أن هذه الآيات نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الإفك، وكانت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا، ثم آذن بالرحيل، فانطلقت لشأنها، فلم ترجع إلا وقد سار الجيش، فنزلت منزلها وهي تظن أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فأتى على عائشة، فأناخ لها راحلته، وانطلق يقود بها، حتى أدرك الجيش وقد نزلوا موغرين في حر الظهيرة، فلما رآها عبد الله بن أبي زعيم المنافقين لعنه الله قال: من هذه؟ قالوا عائشة، قال: من معها؟ قالوا: صفوان بن المعطل، قال: انظروا إلى زوجة نبيكم، باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم انطلق يقود بها، والله ما سلمت منه ولا سلم منها، وشاع الخبر في المدينة، ولاكته الألسنة، حتى تحدث به نفر من المؤمنين الصادقين دون تحرٍّ ولا تثبت، ولا مراعاة لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه ووالدها الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم صابر وساكت، لا يستطيع أن يبرئ زوجه وإن كان عنده من القرائن ما يجعله على يقين من براءتها.

حتى مضى شهر كامل، عاشه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وأبو بكر وآل بيته، وصفوان بن المعطل وآل بيته، والمجتمع الإسلامي كله في المدينة، عاشوا شهرا من الغم والهم، والحزن والنكد، وانشغال البال، عاشوا جميعا شهرا كاملا على أعصابهم، حتى نزل الوحي والكل مشدود الأعصاب، مرهق الفكر، مهموم القلب، بسبب شائعة روج لها منافق حاقد، فلاكتها الألسنة دون تحرٍّ ولا تثبت، نزل الوحي ببراءة الطيبة زوج الطيب، والصديقة بنت الصديق، ولكنه قبل أن يصرح بالبراءة توعد الذين جاؤوا بهذا الإفك، ثم علم المؤمنين ما كان يجب عليهم عند سماع هذا

الْكَذِب، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ تجاه الشائعات.

أولاً: أثر الإشاعة من السوء بمكان وذلك على الفرد والأسرة والمجتمع فكم من أسر تفككت من جرَّاء هذه الإشاعات، وكم من بيوت هدمت، وكم من أموال ضيِّعت، وأطفال شرِّدت؛ كل ذلك من أجل إشاعة من منافق أو كذَّاب.

وقد أوضح الإسلام من خلال الآيات الكريمات هذا الأثر فنجد من تتبعنا لحادثة الإفك، ونرى كيف أثرت الإشاعة على أفضل وأكرم أسرة على وجه الأرض؛ فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة رضي الله عنها ويقول لها: «أما بعد؛ فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيُبرِّئك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه»، وهذا أبو بكر رضي الله عنه يفيض الألم على لسانه، وهو الصابر المحتسب القوي على الألم، فيقول: "والله ما رُمينا بهذا في جاهلية، أفنرضى به في الإسلام؟".

وهي كلمة تحمل من المرارة ما تحمل، حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذَّبة: أجبْ عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرارة هامدة: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه أم رومان زوج الصدِّيق رضي الله عنهما وهي تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء، فتقول لها: يا بُنيَّة، هوِّني على نفسك الشأن؛ فوالله لقلما كانت امرأة قطُّ وضيئة عند رجل يُحبُّها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فتقول لها عائشة: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول كما قال زوجها من قبل: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو صلى الله عليه وسلم يثقل عليه العبء وحده، فيبعث إلى أسامة بن زيد؛ حبِّه القريب إلى قلبه، ويبعث إلى عليِّ بن أبي طالب؛ ابن عمِّه وسنده؛ يستشيرهما في خاصَّة أمره، هكذا وصل الحال بأكرم أسرة على وجه الأرض؛ جرَّاء هذه الإشاعات المغرضة، والافتراءات الكاذبة.

تؤثر على العلاقات والوشائج بين أفراد المجتمع الواحد:

فها هو المجتمع المسلم المتماسك ينقسم على نفسه وكادت أن تحدث الفتنة بين الأوس والخزرج بسبب عرض الصحابة من الأوس تأديب من قال بالإفك من المنافقين وعلى رأسهم رأس المنافقين عبدالله ابن أبي بن سلول لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظهم وهو المصاب في نفسه وأهله ومنع الفتنة من وقوعها، وكذلك أثرت على علاقة الرحم التي كانت بين مسطح رضي الله عنه وكان من أرحام أبي بكر وممن يحسن إليه الصديق رضي الله، وقد خاض مسطح مع من خاض.

لذا فما كان لمثل هذه الظاهرة أن يهملها ديننا الذي يربي الناس على كل خير وطيب، وقد عالج الإسلام هذه الظاهرة من خلال هذه الآيات على خطوتين:

أولاهما: خطوة الدليل الباطني.

الثانية: طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي.

١- أما خطوة الدليل الباطني وذلك بتحديد هؤلاء المغرضين الناشرين للشائعات وأهدافهم، ثم بتطمين المؤمنين وتسليتهم ممن أصابهم الأذى بسبب هذه الشائعات، وأن ذلك رفعة لدرجاتهم، ثم تعليم المؤمنين وإرشادهم بما يجب عليهم تجاه الشائعات وقد وجدنا سلوك القرآن نحو تحقيق ذلك ما يلي:

اللهُ تَعَالَى الآيَاتِ بِدَمْغِ الرَّامِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالْكَذِبِ، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» وَالإِفْكُ هُوَ الْكَذِبُ المبالغ فِيهِ، وَأَصْلُهُ الأَفْكُ، وَهُوَ الْقَلْبُ، لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَأْفُوكٌ عَنْ وَجْهِهِ، لأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَتْ تَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ لمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالشَّرَفِ، فَمَنْ رَمَاهَا بِالسُّوءِ قَلَبَ الأَمْرَ عَنْ وَجْهِهِ. (التفسير الكبير(١٧٣/٢٣) ومعالم التنزيل (١٨١/٤)).

وَقَوْلُهُ تعالى: «عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» أَيْ: جَمَاعَةٌ ذَاتُ هَدَف وَاحد، وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ ذَلكَ الإفك، إِنَّمَا هُوَ الَّذِي تَوَلَّى مُعْظَمَهُ، وَهُوَ يُمَثِّلُ عُصْبَةَ الْيَهُود أو المُنَافقينَ، الَّذينَ عَجَزُوا عَنْ حَرْب الإسلام جَهْرَةً فَتَوَارَوْا وَرَاءَ ستار الإسلام ليَكيدُوا للإسلام خفْيَةً، وَكَانَ حَديثُ الإِفْك إحْدَى مَكَائدهمُ الْقَاتلة، ثُمَّ خُدعَ فيهمُ الْمُسْلمُونَ فَخَاضَ منْهُمْ مَنْ خَاضَ في حَديث الإِفْك، كَحَمْنَةَ

بنت جحش، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث، وعمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم. ثم سارع بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد، فقال تعالى: «لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم».

والخطاب فيه لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، ومعنى كونه خيرًا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينا، ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضي الله عنها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك، أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للمسلمين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها. (الكشاف: ٦٤/٣و٦٥).

وقوله تعالى: «لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم» أي: لكل من تكلم في هذه القضية، ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة، نصيب عظيم من العذاب، «والذي تولى كبره منهم» وهو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه، «له عذاب عظيم» على ذلك. (ابن كثير: ٢٧٢/٣).

ثم توجه الله تعالى بالخطاب للمؤمنين يؤدبهم ويعلمهم ويرشدهم إلى ما يجب عليهم تجاه الشائعات، لأن الشائعات من ذلك اليوم لم تخمد، ومروجي الشائعات لا يضعفون، ولا يكلون، ولا يملون، قد يقصدون فردًا من الأفراد، وقد يقصدون جماعة من الجماعات، وهم في الحقيقة إنما يقصدون المجتمع المسلم كله، والمجتمع يجب أن يعلم أن من أشر الناس عليه وأخطرهم المروجين للشائعات، الذين يقولون ما لا يعلمون، فلو أن الناس تأدبوا بما أدبهم الله به في هذه الآيات لماتت الشائعات في صدور أهلها قبل أن تخرج من ألسنتهم.

يقول الله تعالى: «لولا» أي هلا «إذ سمعتموه» أي الإفك، «ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا» أي: بإخوانهم لأن من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، فهذه الآية كقوله تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم» (الحجرات: ١١)، وقوله تعالى: «ولا تقتلوا أنفسكم» (النساء: ٢٩)، فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن من كمال الإيمان أن ينزل جميع المؤمنين والمؤمنات منزلة نفسه، فما يحبه لنفسه يحبه للمؤمنين والمؤمنات، وما يكرهه لنفسه يكرهه للمسلمين والمسلمات. وكما أن البريء إذا سمع الناس يتهمونه يتعجب من ذلك وينكره، فكان الواجب على المؤمنين حين اتهمت عائشة وصفوان أن يظنوا بهما خيرًا، وأن يبرئوهما بمجرد إحسان الظن.

وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما؛ كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قالت له امرأته أم أيوب رضي الله عنها: يا أبا أيوب! أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

وقوله: «وقالوا» أي: بألسنتهم «هذا إفك مبين» أي: كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها، فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أنها جاءت راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، ولو كان الأمر فيه ريبة لم يكن هذا فيه جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والزور والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة. (ابن كثير: ٢٧٣/٣).

هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الشائعات، خطوة الدليل الباطني الوجداني.

وللحديث صلة في الحلقة القادمة إن شاء الله، نسأل الله أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.



آداب الرؤى والأحلام

إعداد صلاح نجيب الدق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمَّا بعدُ: يرى النَّاسُ في منامهم رُؤيا حسنةً أو أحلامَ مكروهةً، فأحببت أن أذكِّر نفسي وطلاب العلم، بآداب الرُّؤيا الحسنة والأحلام المكروهة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

حقيقة الرُّؤيا:

قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ (رحمه الله): مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّة فِي حَقِيقَة الرُّؤْيَا أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَخْلُق فِي قَلْب النَّائِم اعْتِقَادَات كَمَا يَخْلُقهَا فِي قَلْب الْيَقْظَان وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَل مَا يَشَاءُ، لَا يَمْنَعهُ نَوْمٌ وَلَا يَقَظَة، فَإِذَا خَلَقَ هَذِهِ الِاعْتِقَادَات فَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا عَلَمًا عَلَى أُمُور أُخَر يَخْلُقهَا فِي ثَانِي الْحَال أَوْ كَانَ قَدْ خَلَقَهَا. (مسلم بشرح النووي- جـ٨- صـ ٢٥).

الفرق بين الرؤيا والحُلم:

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الأثير(رحمهُ الله): الرُّؤْيَا وَالْحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِه مِنَ الْأَشْيَاء، لَكِنْ غَلَبَت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وَغَلَبَ الْحُلْمُ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيح. (النهاية في غريب الحديث-جـ١- صـ ٤٣٤).

أنواع الرُّؤيا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ. (مسلم- حديث٢٢٦٣).

قَوْلُه: (فَرُؤْيَا الصَّالِحَة): أي: الرُّؤْيَا الحسنة التي يَرَاهَا الْمُسْلِم فِي نَوْمِهِ.

قَوْلُه:(بُشْرَى مِنَ اللَّه) أي: بِشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلرَّائِي أَوْ الْمَرْئِيّ لَهُ.

قَوْلُه:(تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَان): أي: أَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ يَرَى فِي نَوْمِهِ مَا يُصيبهُ بالحزن والغَمّ.

قَوْلُه:(يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ): أي: أَنَّ الْهُمُومَ التي تَشْغَلُ الْمُسْلِم وتُلازمه في حياته، وَيُفَكِّرُ فيها، يَرَاهَا فِي نَوْمِهِ. (عون المعبود- أبو الطيب آبادي- جـ٩- صـ ٢٢٩٨).

الرؤيا الصالحة من الله والحُلم المكروه من الشيطان:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمُ الْحُلْمَ يَكْرَهُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَلَنْ يَضُرَّهُ. (البخاري- حديث: ٧٠٠٥ ومسلم- حديث:٢٢٦١).

فائدة مهمة:

أَضَافَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَة إِلَى اللَّه تَعَالَى، إِضَافَة تَشْرِيف بِخِلَافِ الرُّؤْيَا الْمَكْرُوهَة، وَإِنْ كَانَتَا جَمِيعًا مِنْ خَلْق اللَّه تَعَالَى وَتَدْبِيره وَبِإِرَادَتِهِ، وَلَا فِعْل لِلشَّيْطَانِ فِيهِمَا، لَكِنَّ الشَّيْطَان يَحْضُر الْمَكْرُوهَة وَيَرْتَضِيهَا وَيُسَرّ بِهَا. (مسلم بشرح النووي- جـ٨- صـ ٢٥).

الأمرُ بالتفل فيه طردٌ للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة وتحقيرًا له واستقذارًا لفعله، وخصّ بها اليسار؛ لأنها محل الأقذار والمكروهات ونحوهما. (مسلم بشرح النووي- جـ٨- صـ ٢٦).

معنى الاستعاذة:

الاستعاذة: هي: الالتجاء إلى الله تعالى، والاعتصام به، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. (تفسير ابن كثير- جـ١- صـ١٧٥).

قال الإمام أحمد بن حجر العسقلاني (رحمه الله): التحول: فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها. (فتح الباري- جـ١٢- صـ٣٧١).

(٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي قُطع، قال: فضحك النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وقال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يُحدّث به الناس. (مسلم- حديث: ٢٢٦٨).

آداب الرؤيا الصالحة:

نستطيع أن نوجز آداب الرؤيا الصالحة في الأمور التالية:

(١) يقول المسلم: (الحمد لله ربّ العالمين).

(٢) يستبشرُ المسلم بها، فإنها بشرى من الله تعالى.

(٣) يُحدّث المسلم بها من يُحب من الناس.

آداب الأحلام المكروهة

يُستحبُ للمسلم إذا رأى في منامه ما يكره، وأراد السلامة من هذا الحلم أن يفعل الأمور التالية:

(١) يقول المسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن هذا الحلم).

(٢) يتفل عن شماله ثلاث مرات.

(٣) يتحوّل عن جنبه الذي كان عليه.

(٤) لا يتحدث بما رآه إلى أحد من الناس، فإنّه لا يضرُّه.

(٥) يقوم المسلم من فراشه فيتوضأ ويُصلي ويدعو الله تعالى أن يصرف عنه هذا الشر الذي رآه.

فائدة مهمة

هذه الآداب السابقة تنفع الذين يحافظون على الصلاة في أوقاتها.

الوقاية من الأحلام المكروهة

يستطيعُ المسلمُ، أن يُحصّن نفسه من الأحلام المكروهة والمخيفة بالأمور التالية:

(١) إذا أراد المسلمُ النوم، فإنه يتوضأ وينام على جنبه الأيمن.

(٢) يقرأ آية الكرسي: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥).

(٣) يقرأ المسلمُ خواتيم سورة البقرة: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ) (البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦).

(٤) نجمعُ الكفين ونقرأ فيهما بسورة: (قل هو الله أحد) وسورة: (قل أعوذ بربّ الفلق) وسورة: (قل أعوذ بربّ الناس)، ثم ننفث في الكفين ثم نمسح بهما الرأس والوجه وباقي الجسم.

(النفث): ريقٌ خفيف جدًا. نُكررُ القراءة والنفث والمسح على الرأس والجسد ثلاث مرات.

(٥) يقول: (اللهُمّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت).

(٦) يقول: (باسمك ربّ وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).

(٧) يقول: (باسمك اللهُمّ أموتُ وأحيا).

الدعاء عند القلق والفزع من النوم

يقول: (أعوذ بكلمات الله التامّة، من غضبه وشرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. يحتاج إليها !
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517